عقائد الدفن وعبادة الأسلاف
فيما قبل التاريخ في الشرق الأدنى القديم

د. أحمد سعيد*

مقدمة

- يتناول ذلك البحث عقائد وعادات الدفن وعبادة الأسلاف فيما قبل التاريخ ، خاصة ما يتعلق بوضع المتوفى ونوعية القرابين ثم فكرة الخلود والعالم الآخر وغيرها - وذلك في شكل دراسة تحليلية مقارنة منذ بداية ظهورها وحتى حوالي ٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد أي نهاية العصرين الحجري الحديث و الحجري النحاسي وحتى بداية التاريخ ، وذلك في بلاد الشرق الأدنى القديم و لاسيما إيران والأناضول والعراق وبلاد الشام ثم مصر وبعض الإشارات في شبه الجزيرة العربية .
- إن التحديد الزمني للفترة التي وجه الإنسان فيها اهتماماً مقصوداً لتورية مثواه وتحديد قبره لا يتسنى لنا على وجه اليقين، و سواء كانت معرفة الإنسان لهذه الشعيرة، قد جاءت تقليداً لما رآه من بعض الطيور أو هو نتاج أحاسيس و مشاعر تجاه بني جنسه، فإن معرفة عادة الدفن جاءت مقترنة بمعرفة بدائية للزراعة والاستقرار، و قد يكون من الجائز أنه تأمل البذرة الحية و هي مدفونة في التربة ثم لا تلبث أن تنمو و تخضر و تخرج إلى الوجود قد وجه نظر الإنسان القديم إلي أنه بالإمكان أن يتم ذلك لأفراده الذين يموتون. أضف إلى ذلك الاحتمال أن الصدفة التي جعلت العثور على جثث من مات من الأجداد في الصحاري لجفافها وبحالة من الحفظ قد لفتت نظره إلى القصد المتعمد في مسألة الدفن. ومما لاشك فيه أن تطور حجم مخ الإنسان وسعة إدراكه جعله يفكر في مسألة الحفاظ على جثث موتاه.

- ولقد تحدث كثير من العلماء الذين اهتموا بنشأة الأديان والمعتقدات أمثال جرانت الن، ويلز (في كتابه معالم تاريخ الإنسانية)، أ.ب. تايلور(في كتابه الثقافة البدائية) ، أ.إ كرولى (في كتابه العقل الناضج و الحياة) ، ديورانت (في كتابه قصة الحضارة) ، هـ. أوفرستريت(في كتابه قصة العقل) ، هربرت سبنسر(في كتابه نظرية التطور الكوني) ، وفريزر(في كتابه الغصن الذهبي) و إرنست رينان(في كتابه تاريخ الأديان) وغيرهم عن فكرة استمرار وجود الروح بعد الموت و التي انبعثت في عقل الإنسان البدائي في مرحلة الترحال وارتبطت بوجود عالم أرواح الأسلاف ومدى تأثيره في حياة البشر الدنيا في إتيان الخير لهم وإبعاد الشر عنهم ، حيث أدى ذلك ولاسيما بعد الاستقرار إلى معتقدات قاصرة على الاهتمام بالموتى ثم معتقدات سعت إلى استرضاء الموتى و تأليههم إما خشية أن ينزلوا لعناتهم على الأحياء أو احتراما وتقديسا لهم[1] وهذا ما يسمى بعبادة الأسلاف [2].

---

* مدرس ـ كلية الآثار ـ جامعة القاهرة .

[1] يذكر هـ.ج. ولز أن الإنسان البدائي كان في حياته الدنيا يخشى ويحترم الرجل المسن ، حيث يعتبر ذلك بداية الحكمة الاجتماعية ، وقد نشأ الصغار في ظل ذلك الخوف من الحكيم وكانت الأشياء المتصلة به كالرمح مثلا أو المكان الذي يجلس فيه محظور لمسها ، وكان فيما يرجح سيداً

- ولعل ظهور الأموات في الأحلام التي كان يراها الإنسان البدائي أثناء نومه وهو يعلم يقينا أنهم فارقوا حياته الدنيا ، ثم يتعاملون معه و يأكلون ويمارسون أعمالهم كما كانوا في الدنيا ، أدى ذلك إلى الاعتقاد بأن الأموات يحتاجون في عالمهم ما كانوا يستخدمونه في دنياهم ولذا وضعوا معهم الأسلحة والمعدات والأواني الفخارية بل والمأكولات فضلا عن التضحية في بعض الأحيان بالحيوانات التي كان يستخدمها لكي تكون معه في حياته الأخرى. ومن هنا ربما نشأت فكرة القرابين ومصاحبة الأشياء للمتوفى [٣] .

- **ظهرت** عقائد دفن الموتى منذ العصر الحجري القديم الأوسط (من حوالي ٢٠٠ ألف إلى ٤٠ ألف سنة ق.م) ، على يد إنسان نياندرتال الرحال و صاحب الحضارة الموستيرية[٤]. في أوربا والشرق الأدنى ، حيث ظهرت مشاعره تجاه موتاه من خلال بعض الطقوس البدائية وكذا ابتداعه للقبور في شكلها البدائي ، وإيمانه بضرورة عدم ترك موتاه في العراء وقدسية دفنهم ، لحمايتهم بعد الموت ، وتزويدهم أحيانا ببعض الأسلحة و الحلي، بل و بأنواع معينة من البراعم والزهور ، كما وجدت عظام حيوانية مدفونة معه في مدافنه في جنوب فرنسا، [٥] ولعل هذا قد لا يشير إلى ما يعتقده البعض في إيمان هذا الإنسان في حياة أخرى بعد الموت أو في خلود الروح منذ تلك الفترة المبكرة ، بل قد يدل على أنه مجرد نوع من الاحترام لقدسية الموتى وعدم تركهم في العراء بعد موتهم فضلا عن وضع الأشياء أو الأطعمة التي كانوا يحبونها معهم . ويرى تونبي أن إنسان نياندرتال قد دفن موتاه بطريقة شعائرية بدلا من أن يعتبر جثثهم مجرد أقذار حيث رأى أن للإنسان قدسية وكرامة لا توجد عند بقية الكائنات [٦].

كما أن هناك من يرى أن هذا الإنسان في أوربا آنذاك كان من أكلة جماجم الموتى[٧]. حيث عثر مثلا في كهف كرابنيا في كروتيا على بقايا مهشمة لأكثر من عشرة جماجم نياندرتالية وكان بعضها محروقا ، ويفسر البعض ذلك أن إنسان نياندرتال آنذاك قد رأى في الجمجمة أو الرأس مقر قوة و روح الفرد ، وأنه ربما إذا أكلها فإن هذه القوة أو الروح تنتقل إليه [٨] إلا أن هذا الأمر لا يمكن البرهنة عليه في الوقت الحالي[٩]

على كل النساء ، وكانت الأمهات تغرس في نفوس أبنائها خشية الرجل المسن واحترامه وتقديره . معالم تاريخ الإنسانية ، المجلد الأول ، ١١٦ . ولعل ذلك كان المدخل لتقديس ذلك الحكيم بعد وفاته

[٢] انظر سعيد مراد ، المدخل في تاريخ الأديان ، القاهرة ٢٠٠٠ ، الجدير بالذكر أن كثيرا من الشعوب مازالوا يعبدون أسلافهم حتى الآن مثلما يحدث في اليابان والصين .

[٣] سعيد مراد ،المرجع السابق ، ٥١ ، لم يتناول البحث مسألة تناسخ الأرواح وحلولها في أناس آخرين أو حتى في حيوانات ونباتات وأشياء ، لأن الاهتمام منصب فقط على عقائد الدفن .

[٤] عن إنسان نياندرتال انظر

R.Pfisterer, in Fischer Weltgeschichte/ I-.Vorgeschichte,1992,42ff

[٥] خزعل الماجدى ، أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ ، ١٩٩٧، ٣٩

[٦] أرنولد تونبي، تاريخ البشرية ،ج ١ ترجمة نقولا زيادة ، بيروت ١٩٣٩، ٣٩

[7] cf.F.Haverkamp, Grundzüge der Geschichte von der Urzeit bis zür Gegenwart,Bonn,1959, 4ff

[٨] خزعل الماجدى ، المرجع السابق ، ٣٩

[٩] راجع ، أندريه لورا وا جوران ، أديان ما قبل التاريخ ، ترجمة سعاد حرب ، بيروت ١٩٩٧ ٤٨ وما بعدها

• وبطبيعة الحال استمرت عادة دفن الموتى خلال العصر الحجري القديم الأعلى مع الإنسان العاقل وكذا خلال العصر الحجري الوسيط . ووجدت المقابر أحيانا أسفل أرضيات الكهوف ، عثر مع الموتى على كميات كبيرة من القواقع مثل التي عثر عليها في كهف " لي -ايزيس " في فرنسا ، ويبدو أنها كانت مرصوصة في عقود ، وكانت بعض الجثث مطلية باللون الأحمر ربما إشارة إلى قوة سحرية معتقدة في لون الدم .[١٠] والجدير بالذكر أن الإنسان خلال العصر الحجري القديم الأعلى كما يذكر "أندريه لورا جوران " ربما كان يقدس بعض أنواع من الحيوانات و أهمها الماموث و التي جمع عظامها في مستودعات بجانب مدافن البشر أطلق عليها مستودعات طقسية ، عثر عليها في روسيا و أوكرانيا وسيبيريا.[١١] كما عثر على مواقع جماجم وعظام لدببة الكهوف في مغارات غرب ووسط أوربا موضوعة بشكل يوحي بأنها وضعية مقصودة ، مما قد يدل على نوع من عبادة أو تقديس الدب .[١٢]

وقد دلت الكشوف أن الإنسان في أوربا إبان العصر الحجري الحديث (بدءًا من حوالي ٨٠٠٠ ق.م) كان يدفن موتاه ويرفع فوق مكان الدفن أكواما هائلة من التراب نستطيع أن نطلق عليها قبور . وكانت هناك أحجار كبيرة متصلة بهذه القبور أو بعيدة عنها . وقد عثر على أمثلة لذلك عند ما يطلق عليه مساكن البحيرات في سويسرا التي أميط اللثام عنها سنة ١٨٤٥[١٣]. وأيضا في مواقع العصر الحجري الحديث ببريطانيا حيث ظهرت المقابر وفوقها تلال مستطيلة ثم مستديرة ولوحظ أن الجماجم التي وجدت في الأولى كانت مستطيلة بينما الموجودة في الأخرى كانت غالبا مستديرة مما يدل على تعاقب الأجناس في أوربا إبان ذلك العصر[١٤]

ويذكر فريزر أنه ربما كانت هناك خلال ذلك العصر في أوربا عادة تقديم أضاحي بشرية في أوان بذر الحبوب و كان يصحبها بعض الطقوس المقدسة[١٥]

• **أما في الشرق الأدنى ،(اللوحات ٢،١) وكما سيتبين بعد ذلك** ، فقد ظهرت عقائد دفن الموتى وطقوسها أيضا منذ العصر الحجري القديم الأوسط واستمرت في تطورها - فعلى سبيل المثال خلال الحضارة الكبارية والحضارة النطوفية في *بلاد الشام*، والتي قام أهلها في بعض الأحيان على فصل الرؤوس عن الأجساد ودفنوها منفردة

---

[١٠] نفس المرجع ، ٥٠

[١١] أندريه لورا جوران ، المرجع السابق ، ١١ وما بعدها .

[١٢] أندريه لورا جوران ، المرجع السابق ، ٣٠-٣١

[١٣] ف. ج. ولز ، معالم تاريخ الإنسانية ، ١٠٢ ؛

[١٤] ف. ج. ولز ، المرجع السابق ، ١٣٣ ؛ **الجدير بالذكر أنه وعلى عكس البلاد المتاخمة للحدود الشرقية والجنوبية للبحر المتوسط والبلاد الواقعة خلفها والتي تقع في إطار ما اصطلح على تسميته بالشرق الأدنى ، والتي خطت خطي سريعة نحو التقدم الحضاري ، نجد أن حياة النيولتيين على الجانب الشمالي لنفس البحر في أوربا ونتيجة للظروف المناخية الباردة ، لم تتقدم تقدما كبيرا بعد تحولهم من حياة الترحال إلى حياة الاستقرار، ولم يعرفوا الكتابة حتى يستخدموها في تدوين تحولهم ، واستمروا بدون المعادن ، ولم يكن لديهم سفن شراعية تحمل تجارتهم أو تنقلهم إلى العالم المحيط بهم . انظر ، جيمس هنري برستد ، انتصار الحضارة تاريخ الشرق القديم ، ترجمة احمد فخري ، القاهرة ١٩٦٦ ، ٥٦-٥٧**

[١٥] ف. ج. ولز ، المرجع السابق ، ١٠٨

داخل بيوت السكن ، مما قد يمثل لهم رمزا روحيا وربما بواكير عبادة الأسلاف والتي بدأت بلا شك بتقديس واحترام الزعماء وذوي المكانة من الأحياء وهو ما يطلق عليه بالمعتقدات الشمانية.[١٦] وفى ***العراق*** دفن المتوفى منذ ذلك الحين وسط الزهور والبذور كما ظهر في كهف شنايدر.

وفي ***الأناضول*** عثر في موقع "هاشيلا" (ما قبل الفخار) على بقايا الجماجم البشرية دون ما مقابر ثم في موقع "شاتال هويوك" اشهر مواقع العصر الحجري الحديث هناك ، دفن الموتى أسفل المنصات أو المصاطب في البيوت وفى صوامع المعابد بعد نزع لحوم الموتى عن عظامها وربما كانوا يتركون ذلك للطيور الجارحة ، وقد دهنت في بعض الأحيان جثث أو هياكل الموتى بالمغرة الحمراء ولفت بالجلد والقماش ووضع معهم بعض القرابين . ونجد في ***ايران*** ومنذ حضارة تبة سيالك الأولى أن الموتى قد دفنوا أسفل المنازل بينما دهنت الجثة بالمغرة الحمراء وكذا حفرة المقبرة .

وإذا انتقلنا إلى ***مصر*** فسنجد أن مسالة الإيمان بالبعث و العالم الآخر والحفاظ على جثة المتوفى كاملة ، قد ميزت أهلها منذ البداية ، حيث دفن الميت في وضع القرفصاء منذ حضارة مرمدة بني سلامة مع بداية العصر الحجري الحديث ووضعت معه القرابين واختلف اتجاه وجه المتوفي تارة تجاه الشرق وتارة أخرى تجاه الغرب أو النيل. وهناك عوامل شتى أدت إلى اعتقاد المصريين بالبعث والخلود، مثل ملاحظتهم منذ الأزل للدورة الحياتية(ميلاد فموت ثم إحياء) لبعض عناصر الطبيعة والكون من حولهم مثل شروق الشمس فغروبها ثم شروقها مرة أخرى ، وفيضان النيل فانحساره ثم فيضانه مرة أخرى، و الدورة القمرية. هذا بجانب ملاحظة المصريين لبقاء جثث موتاهم المدفونة بالرمل على حالها ، بسبب المناخ الجاف،مما أوعز لهم بضرورة اتخاذ كل السبل بعد ذلك للحفاظ على جثث موتاهم سواء بالاهتمام بمقابرهم أو باختراع التحنيط لاحقا الخ[١٧].

أما عن ***شبه الجزيرة العربية*** فهناك عدة مقابر منقورة في الصخر ترجع ربما للعصر الحجري الوسيط أو الحديث عثر عليها على سبيل المثال عند الساحل الشرقي لقطر بموقع "أم الماء" ، وكذا بالبحرين ، وضع المتوفى بها علي هيئة القرفصاء ، بينما غطت المقابر ببعض الصخور.

- **وننتقل الآن إلى استعراض الدراسة في الشرق الأدنى بالتفصيل :-**

---

[١٦] يذكر علي الدين محي أن " الشماينة ربما جاء من كلمة شامان (Shaman) الروسية ، ومعناها الكاهن العراف الذي يظن أنه يستطيع أن يشفي المريض بفضل ما يملك من قوة سحرية ، مثل ما هو معروف في أندونيسيا بشكل علم باسم (Dukun)أو ما يعرف في منطقة آتشية (Acheh) بسومطرة الشمالية بشكل خاص باسم (Saman)، وهو شخصية دينية لها مركز مهيب وقد تكون من كلمة Shemen التي معناها " صنم " أو " عبد " . كما أنها قد تكون من أصل غير هذا أو ذاك .علي الدين محي الدين " عبادة الأرواح (القوي الخفية) في المجتمع العربي الجاهلي " في مجلد دراسات تاريخ الجزيرة العربية ، الكتاب الثاني / الجزيرة العربية قبل الإسلام ، الرياض ، ١٩٨٤ ، ١٥٣ ــ ١٥٤ .

[١٧] انظر ، ج.هـ.بريستد ، تطور الفكر والدين في مصر القديمة ، ترجمة زكي سوس، القاهرة ١٩٦١ ، ص. ٨٥-٨٦

أولا بلاد الشام:-

- في كهفي السخول والطابون يرجع للحضارة الموستيرية بقايا عظمية لأحد عشر شخصا من إنسان نياندرتال أو إنسان الكرمل الأرقى نوعا ، كما يسمى حاليا ، أربعة منها في حالة لا بأس بها ، وكانت الجثث مدفونة بطريقة مختلفة ترقد إما على ظهرها أو جانبها أو على وجهها ، ولكن كانت الأرجل منثنية في كل الحالات ، ولوحظ أن واحداً منها كان يمسك في ثنية ذراعه بعظمة فك خنزير بري ، ربما كنوع من القرابين .[١٨]
- وفي منطقة "عفرين" بحلب وبمغارة الديرية /٢ عثر على بقايا هياكل نياندرتالية ذات أهمية خاصة ، منها هيكل عظمي كامل تقريبا لطفل عمره حوالي سنتين ، عثر عليه في الطبقة الثامنة على عمق حوالي متر ونصف من سطح الأرض ، مستلقيا على ظهره ويداه ممدودتان وقدماه منثنيتان ، وأسفل رأسه بلاطة حجرية وعلى صدره فوق القلب أداة حجرية من نوع "طابون ب" [١٩]
- وقد وجدت بقايا هياكل عظمية في كهف جبل قفزة بالقرب من الناصرة وغيرها في كهف الزطية .[٢٠] وفي موقع مغارة جبل قفزة عثر على مقبرة بها ست عشرة جثة نياندرتالية أتت من خمس عشرة طبقة أثرية أرخت أقدمها بحوالي ٥٠ ألف سنة ق.م، وقد ميز بين الجثث ستة أشخاص كبار وسبعة أطفال، وبعض الجثث دفن بعناية واضحة ، بينها رجل وضع في حفرة صخرية مستلقيا على جانبه الأيمن ومنثنى الرجلين ، وهناك قبر لامرأة شابة مستلقية على جانبها الأيسر منثنية الرجلين و إلى جانبها طفلها نائم برأسه على صدرها بين ذراعي هذا الطفل جثة غزال ، يرى محيسن أنها رمز للحياة والحب ومما يدل على رمزية هذا الحيوان وأهميته .[٢١]
- ويذكر" فيليب حتى" أن إنسان تلك الكهوف السابقة كانت سعة جمجمته أكبر مما كانت عليه عند الأوربيين من النوع نفسه، وكانت الذقن أكبر ولكنه كان ينقصها التركيب المتصل بالكلام المترابط.وعلى ذلك فإنها تشكل على ما يظهر حلقة هامة في تطور الإنسان. [٢٢]

- وللحضارة النطوفية التي ترجع للعصر الحجري الوسيط ، ترجع إحدى الجبانات التي عثر عليها في موقع أو مغارة الواد ، بها ٨٧ دفنة احتوى بعضها على أمتعة الترف والحلي مثل الخرز والدبابيس والدلايات والعقود [٢٣]. وكما يشير محيسن أن النطوفيين قد أقاموا المقابر الكبيرة بجوار قراهم حيث دفنوا موتاهم إما بشكل فودي أو

---

[١٨] جاب الله على جاب الله ، الشام عصر ما قبل التاريخ ، ٩.

[١٩] سلطان محيسن ، "حلب في العصور التاريخية "في الحوليات الأثرية العربية السورية ،المجلد الثالث والأربعون ،١٩٩٩ ، ٤٩،٦٧،٧٠.

[٢٠] جاب الله على جاب الله ، المرجع السابق ، ٩

[٢١] سلطان محيسن ، بلاد الشام في عصور ما قبل التاريخ ، ١٩٨٩ ، ١٠٢

[٢٢] فيليب حتى ، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ،جـ١ ترجمة جورج حدادو عبد الكريم رافق، بيروت ١٩٧٠ ،١٠

[٢٣] جاب الله ، المرجع السابق ، ١٣

جماعي وبأوضاع ممدودة أو منثنية ولكن دون توجيه خاص وزودوهم بمواد وأشياء مختلفة [٢٤].

- ففي منطقة "عين الملاحة" بجوار بحيرة الحولة في وادي الأردن بفلسطين، عثر على قبور فردية دفنت فيها هياكل كاملة على هيئة القرفصاء غالبا ، مستلقية على الجانب أو على الظهر وربما لفت بالجلود ،**(لوحة ٣)** وفي أحد القبور وجد هيكلان متقابلان وجها لوجه ، وزودت باللؤلؤ وقرون الغزال وغيرها .[٢٥] ووجد في أحد القبور مجموعة من الأصداف مرتبة في شكل تاج بداخل حفرة طليت بالملاط ووضعت فوقها صخور منظمة بشكل دائري.[٢٦] وقد عثر على دفنات بشرية بمصاحبة هياكل كلبية [٢٧]، ربما يشير إلى نوع من الاعتزاز بالكلب. وكما أسلفنا نجد أن النطوفيين في بعض قبورهم فصلوا الرؤوس عن الأجساد و دفنوا تلك الرؤوس أو الجماجم منفردة داخل بيوت السكن و أحيانا وضعوا في قبر واحد عدة جماجم مع أجزاء من هياكل عظمية كما في عين الملاحة ،أو عدة جماجم مع هيكل عظمي واحد كما في موقع " عرق الأحمر " في فلسطين . ومرة أخرى نجد أننا أمام الافتراض بنوع من التقديس لجماجم الموتى و عبادة الأسلاف.[٢٨] وفي موقع عرق الأحمر لم يعثر سوى على جثة واحدة كاملة بينما تمثل بقية الموتى من خلال جماجمهم فقط، وقد كانت هذه الجماجم في أوضاع متباينة جداً ، وبقرب كل منها وضع سن حصان ربما ذات دلالة جنائزية خاصة.[٢٩]

وفي منطقة "**عينان**" النطوفية وجدت ثلاثة أشكال من المدافن **(لوحة ٤/شكل ١)** كما يرى "ميلارت" ذات الجدران الضخمة وهي :

أولا المدافن الفردية ، ثانيا المدافن الجماعية في حفر و غالبا ما تحتوي على المقبرة على ثلاثة أفراد وقد وضع اثنان منهما وجها لوجه ، ثالثا المدافن الجماعية الثانوية وهي عبارة عن مدفن عام تجمع فيه الجثث بعد أن تتلف الأجزاء الطرية من أجسام الموتى ، حيث تتجمع أجزاء لأجزاء لأشخاص مختلفين في قبر واحد . وقد لوحظ أن معظم هذه القبور تحتوى على المغرة الحمراء. ولعل أكثر المدافن أهمية في "عينان" هو مدفن أو قبر الزعيم أو رئيس العشيرة وربما زوجته ، **(لوحة ٤/ شكل ب)** والذي كان أصلا مسكنه ، فهو عبارة عن بناء دائري يبلغ طول قطره خمسة أمتار وعمقه ثمانون سنتيمتراً ، ويحيط به متراس مطلي بالجص ومدهون باللون الأحمر ، يرقد في مركزه هيكلان عظميان على الظهر وقد فصلت السيقان بعد الموت وطويت بشكل نظامي ، ويمثل أحد الهياكل رجلا شابا غطي جزئيا ودعم بالحجارة وكان متجها نحو قمم الحرمون الثلجية . أما الهيكل الثاني فكان له غطاء للرأس مصنوع من الأصداف وربما يكون لامرأة .

ولقد كان المدفونون في المقابر الجماعية يجمعون في طرف القبر لإتاحة المجال لشاغلين جدد ثم تتم إعادة ترتيب الجماجم (تفسير قد يضعف من مسألة عبادة السلف) كما وكان المتوفى يغطى بالتراب ثم تصف فوق التراب حجارة يقام عليها الموقد ، وقرب الموقد كانت

[٢٤،٢٤] سلطان محيسن ، بلاد الشام في عصور ما قبل التاريخ / المزارعون الأوائل ، دمشق ١٩٩٤ ، ٢٠

[٢٥] محيسن ، المرجع السابق ، ٢٣

[٢٦] تقي الدباغ ، الوطن العربي في العصور الحجرية ، بغداد ١٩٨٨ ، ٩٠

[٢٧] محيسن ، المرجع السابق ، ٢٤

[٢٨] محيسن ، المرجع السابق ، ٢٨

[٢٩] جاك كوفان ، ديانات العصر الحجري الحديث في بلاد الشام ، ترجمة سلطان محيسن،دمشق ١٩٨٨، ٣٢-٣٣

هناك جمجمة أخري وضع فوقها أيضا رصيف حجري بشكل دائري يبلغ طول قطره قدمين ونصفا ، وقد وضعت في مركز الرصيف ثلاثة أحجار كبيرة محاطة بحجارة أصغر حجما [٣٠].

- والجدير بالذكر أن من أهم مقتنيات المقابر النطوفية سواء مغارة الوادي أو أريحا أو غيرها هي مجموعة من التماثيل الصغيرة بشرية وحيوانية ذات الرموز المختلفة ، والتي وجدت بداخل المقابر أو بجانبها ، وأيضا مجموعة من حوافر أو عراقيب الغزلان ذات الرموز الجنائزية المنتمية لقدسية هذا الحيوان تقريباً.[٣١]، فضلا عن الفجوات المستديرة في الأرض التى خزن بها بعض الحبوب.(لوحة ٥/شكل أ)

- وإذا انتقلنا إلى العصر الحجري الحديث فسنجد أن أهم مواقع هذا العصر وأقدمها وهو "أريحا" (تل السلطان) ، قد تميزت بعض مقابرها بوجود جماجم بشرية ملئت فراغاتها وشكلت ملامحها بالجص(**لوحة ٥/شكل ب**) ، كما ثبتت في بعضها صدفتان في فجوتي العينين لتحلا محلهما ، وكانت رؤوس بعضها مدهونة باللون الأسود إشارة إلى الشعر ، ولا شك أن هذه الجماجم تعطينا فكرة واضحة عن الملامح الطبيعية لإنسان فلسطين في تلك الحقبة ، ويبدو أن الهدف كما يذكر جاب الله من وجود هذه الجماجم كان متصلا بطريقة ما بعبادة الأسلاف ، وفي مرحلة لاحقة بنفس الموقع وجدت دفنات تم فيها فصل الرأس عن الجسم ودفن كل منهما مستقلا عن الآخر . وفي موقع تل الرمد جنوب غرب دمشق وكذا منطقة "بيسامونو" وموقع وادي حمار جنوب البحر الميت لم تختلف عادات الدفن عن أريحا بما في ذلك الجماجم المشكلة بالجص .[٣٢] فضلا عن رؤوس أو جماجم طليت بالقار[٣٣] ومن تل المريبط في سوريا أتت دلائل على دفن جماجم منفردة بعد فصلها عن الجثة ، هذا بجانب أنه قد عثر أسفل أرضيات منازلهم على دفنات كاملة[٣٤] . وفي نفس المنطقة الطبقة الثالثة المعاصرة لأريحا ، عثر على قبرين الأول أسفل أحد المواقد داخل المسكن يحتوي على جمجمة أنثى وأجزاء من هيكلها العظمي، والقبر الثاني كان خارج نطاق المنزل ووجدت به الأجزاء المكملة لنفس الجثة[٣٥] . هذا بجانب ما يفيد تقديس بعض الحيوانات.[٣٦]
- وفي الطبقة الرابعة في تل المريبط عثر على هياكل عظمية دفنت بلا رؤوس أسفل أرضيات المنازل بينما وضعت الجماجم على قواعد طينية على امتداد جدران تلك البيوت.[٣٧]

---

[٣٠] جيمس ميلارت، أقدم الحضارات في الشرق الأدنى، ترجمة محمد طلب ،١٩٩٠، ٣٤-٣٥

[٣١] جاك كوفان، المرجع السابق ، ٣٥-٣٧

[٣٢] جاب الله ، المرجع السابق ، ١٦ ،سلطان محيسن ، المرجع السابق ، ٦٣-٦٤ ،جيمس ميلارت ، المرجع السابق ، ٥٤ ، جاك كوفان ، المرجع السابق ، ٤٧

[٣٣] محيسن ، المرجع السابق ، ٦٤

[٣٤] سلطان محيسن ، المرجع السابق ، ٤٩

[٣٥] شرحه .

[٣٦] الجدير بالذكر أنه ومن نفس الموقع هناك ما يدل على عقيدة تقديس الثيران ، حيث عثر على دفنات لجماجم الثيران كاملة ، ثم اقتصر ذلك على قرون الثيران فقط التي دفنت في جدران المنازل ، سلطان محيسن ، المرجع السابق ،١٦، ٢٢

[٣٧] سلطان محيسن ، المرجع السابق ، ٦٣ان عن تل مريبط انظر بسام جاموس ، "المريبط أول قرية زراعية " في مجلة المعلومات ، العدد ٣١ نيسان ١٩٩٥ دمشق ،١٣-١٥

- وترجع لنفس الفترة عدة مدافن عثر عليها في منطقة "أبو هريرة" بسوريا بها العديد من الهياكل بلا جماجم أو بجماجم عادية غير مجصصة بعضها ملون مما يبعدها عن مسألة عبادة الأجداد . ثم هناك موقع "عين غزال " بالأردن كشف به عن مجموعة مقابر ترجع لنفس العصر ضمت جماجم بعضها مجصص والبعض يحمل القار دلالة على الحواجب ، إضافة إلى مجموعة من التماثيل الإنسانية الكبيرة التي تشبه تماثيل أريحا وتدل أيضا على عبادة الأسلاف.[٣٨]
- وعثر أيضا في منطقة "البيضا" على هياكل منثنية وكانت الرؤوس أيضا مقطوعة ربما لنفس الغرض العقائدي ، وقد عثر على حوالي ٤٠ قبراً معظمها للأطفال والدفن الفردي فيها هو القاعدة ،وفي إحدى الحالات دفنت الأم مع طفلها وكانت هناك بعض المدافن في مساكن المعيشة أو في البيوت المهجورة ، ويذكر كوفان أنه رغم انتشار شعائر قطع الرأس فإن العثور على جماجم معزولة كان نادرا في البيضا .[٣٩]

ويذكر ميلارت أن العثور على مجموعات من الجماجم البشرية والتي ترجع لحضارة أريحا ، دون هياكل عظمية يوحي بالطريقة الثانية للدفن المعروفة بالدفن الثانوي . أما وجود جماجم الأطفال تحت بناء يشبه الحوض فربما يكون نوعاً من التضحية البشرية .[٤٠] وإن كان البلحث يرى أن هذا الرأي يحتاج إلى إعادة نظر.

ويذكر كوفان عن الجماجم المكلسة في أريحا ، أن وضعها بشكل منفصل ليس جديداً بل هو معروف منذ عصر النيوليت ما قبل الفخار (P.P.N.A(أ وحتى منذ العصر النطوفي ، ولكن التجديد الرئيسي كان اقترانها المقصود و ذا دلالة مع الأبنية التي وجدت بداخلها من جهة ، ومن جهة أخرى تحضيرها الخاص إذ تم تقوية هذه الجماجم بالطين المضغوط ، كما أعيد تكوين وجه الميت باستخدام مادة طينية –كلسية [٤١]

- وفي موقع "منهاتا " الذي يقع في وادي الأردن وتؤرخ طبقاته تقريبا بنفس فترة تأريخ "أريحا" عثر على مجموعة تماثيل من الطين النيئ حيوانية وإنسانية[٤٢]، وأجزاء من جمجمة في أرضية كوخ من الطبقة السادسة ومعها أوتاد من قرون الغزال.[٤٣]
- وفي تل الرماد انتشرت أيضا عقيدة الجماجم ،والتي كانت مطلية باللون الأحمر والوجه مكلس بنوع من الجص المتفحم ، وقد عثر عليها على شكل مجموعات وثلاث منها مغروسة بالأرض مقابل الجدار الغربي للبيت كما استخدمت تماثيل حقيقية ارتفاعها حوالي ٢٠ سم وهي عبارة عن أشخاص جالسين كقواعد لعدد من الجماجم .[٤٤]

وفي منطقة "سهل العمق " المرحلة الثانية (العمق ب) و المؤرخة تقريباً بمنتصف الآلف السادس ق.م ، نرى القبور فردية وأسفل أرضيات المساكن أو بقربها ، ووجدت معها القرابين عبارة عن أوان فخارية و أدوات حجرية و دمى إنسانية وحيوانية من الطمي المحروق أو من

---

[٣٨] سلطان محيسن ، المرجع السابق ،٦٤-٦٥

[٣٩] جاك كوفان، المرجع السابق ،٦٩

[٤٠] جيمس ميلارت ، المرجع السابق ، ٤٨

[٤١] جاك كوفان، المرجع السابق ، ٥٢

[٤٢] بعض التماثيل البشرية في سوريا كانت ذات طابع خاص يربطها بهيئة القضيب الذكرى قمته تمثل رأس الإنسان ، ونفس الهيئة تأخذ شكلاً أنثوياً بنهدين جاك كوفان، المرجع السابق،٣:٦٣

[٤٣] جاك كوفان، المرجع السابق ،٦٢

[٤٤] جاك كوفان، المرجع السابق ، ٧٠

الحجر . ولكن الملاحظ كما يذكر محيسن أن عدم وجود أدلة على استمرار عقيدة عبادة الأسلاف ، التي جسدتها الجماجم المجصصة فيما قبل .[٤٥] وفي تل الجديدة وجد قبر طفل عمره ثلاث سنوات ونصف وضعت جثته منثنية على الجانب الأيسر وأمام وجهه إناء صغير - ومن مرحلة "العمق ج" ، عثر على ثلاثة مقابر فردية جثثها في وضع المنثني ووجد على ركبة أحد الهياكل إناء لامع وعلى رأس هيكل آخر إناء فخاري وآخر من الحجر قرب عظام الحوض . ومن مرحلة "العمق د" وجد قبر طفل ساعده الأيمن ممتد على طول الجسم والساعد الأيسر منثن على الركبتين بينما انثنى فخذاه بقوة ووضع مقابل الركبة لوح من عظام الحيوان.[٤٦]

- وفي منطقة "جبيل" النيوليتية كان الموتى يدفنون داخل المستوطنة وربما في أماكن المنازل المهجورة وكانت أغلب الجثث منثنية ، وفي بعض الأحيان عثر على أكوام من العظام بجوار الجثة السليمة مما قد يدل ربما على إعادة ترتيب العظام القديمة ، كما يرى ميلارت ، أما القرابين فكانت تتكون من أسلحة وخرز وحلي .[٤٧] وقد دفن الموتى في قبور ترابية وأحياناً حجرية . والجدير بالذكر أن هناك مبنى جنائزياً عثر عليه بجبيل أطلق عليه "بيت الموتى "، يتألف من غرفة مركزية كبيرة مملوءة بالتربة الحمراء تحيط بها حجرات أصغر عثر بطبقاتها على أكثر من ثلاثين هيكلا مكدساً بلا انتظام ، وكانت الجماجم توضع في وسط حوض صغير . وقد كان هذا المبنى يتمتع بسلطة عقائدية مهمة في القرية .[٤٨]
- وفي رأس الشمرة المؤرخة بنهاية الآلف الخامس ق.م عثر في الطبقة العليا على قبرين أحدهما لشاب في وضع منثن ومعه بعض الصوان والصدف [٤٩]

والجدير بالذكر أن معظم المواقع السابقة قد عثر بها على مجموعة من التماثيل الحيوانية المميزة للعصر النيوليتي بمراحله الثلاثة ، وكذا تماثيل إنسانية أهمها تماثيل الإلهة الأم والتي ربما تأثرت بمثيلتها من الأناضول .[٥٠]

- وفي منطقة تليلات الغسول شمالي البحر الميت والتي ترجع إلى العصر النحاسي الحجري دفن الأطفال أسفل المنازل في جرار ، كما عثر على رفات بعض الموتى الذين تم حرقهم . وفي موقع تل الجزر من نفس الفترة عثر على كهف كان مخصصا لحرق الجثث. ويفسر هذه العادة فليب حتى بأن أسهل طريق للتخلص من الجثة كان حرقها وكانت روح المتوفى تستبعد بحيث لا يصيب الأحياء أي أذى .[٥١]

- وأخيرا نشير إلي بعض الاكتشافات الحديثة مثل موقع تل الشيخ حسن / مربع فريكة ، والمؤرخة بعصر ما قبل الفخار ب، حيث عثر على سبعة مدافن ، اثنان منها كانت

---

[٤٥] سلطان محيسن ، المرجع السابق ، ٨٣
[٤٦] جاك كوفان، المرجع السابق ، ١١٣-١١٤
[٤٧] جيمس ميلارت، المرجع السابق ، ٧٦
[٤٨] جاك كوفان، المرجع السابق ، ١١٤-١١٥
[٤٩] جاك كوفان، المرجع السابق ، ١١٣
[٥٠] جاك كوفان، المرجع السابق ، ٧٨، ٨٩ وما بعدها .
[٥١] فيليب حتى ، المرجع السابق ، ٢٥-٢٦

مزدوجة ، ويستنتج بشكل عام أن الدفن كان في المساكن وقد عثر على جمجمة واحدة مفصولة .[٥٢]

- وفي تل حلولة الجديد / وادى الفرات سورية ، المرحلة قبل الفخار الوسطى تم العثور على ستة مدافن بها تنوع حيث عرف الدفن الثانوي للجماجم ومدافن فردية أولية أحيانا داخل المسكن وفي حفرة لها غطاء . أما في مرحلة ما قبل الفخار ب الحديث فينسب خمسة مدافن أربعة منها أولية وواحد ثانوي ، ولقد لوحظ نسبة عالية من الأطفال ونسبة قليلة من الشبان .[٥٣]

ثانيا/ بلاد ما بين النهرين:-

- ظهرت أقدم بقايا لهياكل إنسان نياندرتال في العراق في كهف "بردا بلكا" بين كركوك والسليمانية[٥٤].
- و في الطبقة (D) من كهف شانيدرا بجبال زاجروس العراقية ، حيث توجد مجموعة قبور عديدة عثر عليها في هذا الكهف بينها دفنه لطفل ومعه مئات القطع من الخرز والأحجار المنوعة ، وقبر آخر لامرأة وجدت به سكين بقبضة عظمية و نصلة صوانية عليها آثار قار عند قبضتها[٥٥]، ويشير جورج رو أن هناك هياكل عظمية لثلاثة رجال وجدت أيضا في هذا الكهف وترجع لنفس الفترة لكنها لم تدفن بقصد بل ربما نتيجة سقوط كتل حجرية عليها.[٥٦]. وفي أحد المدافن في شاندر عثر على قبر لامرأة شابة مع المغرة الحمراء ، كما عثر على حجر رحى وعقد وقطع صغيرة من الخرز . كما عثر في نفس الموقع وفي الطبقة (B) على مقبرة كاملة تحتوى على ثمانية وعشرين مدفنا وكذلك تظهر في المقبرة جدران حجرية أمام خلفية على شكل أقواس من الحجارة ، قد يشير إلى مكان لإقامة شعائر جنائزية في الجبانة .[٥٧]، وتنتمي الطبقة (C) في هذا الكهف إلى الحضارة الزرزية نسبة إلى كهف زرزى شمال بلاد الرافدين والمؤرخة بالعصر الحجري القديم الأوسط والتي وصلت إلى شواطئ بحر قزوين في إيران ، واستمرت وازدهرت حتى العصر الحجري القديم الأعلى، عثر بتلك الطبقة على هياكل عظمية أيضا .

- وهناك كشف لثماني مقابر أتى من منطقة "زاوي جيمي أو شيمي"[٥٨] /كريم شهر في شمال العراق يدل على ممارسة الدفن الفردي و الجماعي بينما زودت الدفنات بالأسلحة

---

[٥٢] دانييل ستوردور، "استئناف التنقيبات عن مرحلة ما قبل التاريخ في تل الشيخ حسن" في الحوليات الأثرية العربية السورية ،المجلد الثالث والأربعون ،١٩٩٩ ، تعريب غادة الحسين،٢٤٦

[٥٣] ايرك كوكينيو ، "العصر الحجري في الألف التاسع والثامن في شمال سوريا ، نتائج التنقيبات في تل حالولة " في الحوليات الأثرية العربية السورية ،المجلد الثالث والأربعون ،١٩٩٩ ، تعريب بسام جاموس وعادله طالبي ، ٢٥٦ -٢٥٧

[٥٤] جاب الله على جاب الله ، محاضرات في تاريخ الشرق الأدنى القديم جـ١ بلاد النهرين ، القاهرة ١٩٨٢، ١٠ ؛ انظر تقي الدباغ ، الوطن العربي في العصور الحجرية ، بغداد ١٩٨٨ ، ٧٣

[٥٥] سلطان محيسن ، المرجع السابق ، ٦٨-٦٩

[٥٦] جورج رو ، العراق القديم ، ترجمة حسين علوان ، بغداد ١٩٨٦ ، ٧٢-٧٣.

[٥٧] جيمس ميلارت، المرجع السابق، ٢٧، انظر جاب الله ، المرجع السابق ، ١٤

[٥٨] انظر : G.Roux, Ancient Iraq ,3rd.Ed. , 40-41

و القرابين المختلفة ، وفي أحيان كثيرة كان الأطفال يدفنون بجانب أمهاتهم [٥٩]، هذا بجانب ما يشير إلى تقديس الحيوان .[٦٠]

- وننتقل إلى العصر الحجري الحديث ، ونبدأ بحضارة "جرمو" شمال العراق شرق مدينة كركوك، ومواقعها المختلفة في تل المغزلية في سفوح جبل سنجار، وتل شمشار على ضفة نهر الزاب[٦١]، وقد دفن سكانها موتاهم خارج منازلهم لذا فإن البقايا البشرية التي عثر عليها كانت قليلة .[٦٢]

- وفي دور حسونة- سامراء [٦٣]عند التل المعروف بتل صوان الواقع على الضفة الشرقية لنهر دجلة ، عثر على مجموعة مقابر تضم العديد من الهياكل البشرية والتي قد لفت بالقصب الناعم وغطيت بالقار .[٦٤] حيث كشف عن جبانة أسفل المباني بها أكثر من مائة قبر وكان الموتى يدفنون في وضع القرفصاء ومعهم قرابين من الفخار والألبستر والخرز وتماثيل إنسانية منحوتة من حجر المرمر(**لوحة ٦/ شكل أ**).[٦٥]أما في تل حسونة [٦٦]فكان الأطفال يدفنون داخل المنازل في جرار فخارية كبيرة ومعهم بعض تماثيل الإلهة الأم و كئووس وأوان فخارية صغيرة ،مما يشير إلى الإيمان ربما بعالم آخر[٦٧] أو نوع من احترام المتوفى لأن الديانة العراقية بعد ذلك أثبتت مفهوماً أن الإنسان غير خالد كما في مصر مثلا.

- ومن خلال مقابر الحضارة الحلفية المنتسبة إلى تل حلف[٦٨] و لاسيما في مرحلتها المتوسطة المؤرخة بمطلع الألف الخامس ق.م ، و المعاصرة لمرحلة " العمق س" في بلاد الشام ، نتعرف على معتقداتهم الجنائزية ،في مواقع تبة يريم٢،٣ في العراق وكذا في مواقع "شمس الدين طنيرة" و"تل كشكوك" في سوريا ، حيث وضع المتوفى في حفرة على جنبه ممددًا أو منثنى الركبتين والرأس نحو الجنوب غالبا ، ويصاحبه بعض أدوات الزينة والأواني الفخارية، ونرى مرة أخرى مسألة دفن الجماجم فقط دون الأجسام،

---

[٥٩] سلطان محيسن ، المرجع السابق ، ٦٨-٦٩. انظر جاب الله ، المرجع السابق ، ١٥

[٦٠] سلطان محيسن ، المرجع السابق ، ١٥، وجدت مجموعة من العظام لرؤوس الماعز ومعها عظام طيور نسور تشير إلى دفنات طقسية.

[٦١] امتدت حضارة جرمو إلى إيران و أواسط زاجروس كما دلت على ذلك مواقع تبة "ساراب" وتبة "جوران" ،

[٦٢] جيمس ميلارت، المرجع السابق ، ٦١

[٦٣] اتفق العلماء على استخدام كلمة دور أو طور Phaseبدلا من حضارة أو مرحلة Period عند تناول المواقع الحضارية فيما قبل التاريخ في العراق وذلك لإبراز أهمية استمرار التقدم المحلي والتطور الحضاري في موقع واحد .

[٦٤] أحمد سوسه ، حضارة وادي الرافدين ، بغداد ١٩٨٠، ٨٦

[٦٥] تقي الدباغ ، المرجع السابق ، ١١٨

[٦٦] انظر G.Roux,Op.cit,49ff.

[٦٧] جاب الله ، المرجع السابق ٢٤.

[٦٨] انظر G.Roux,Op.cit,55ff.

ثم عادة جديدة تتمثل في حرق الجثث ووضعها في جرار بعد أن وضعوا معها بعض القرابين ، وتقتصر تلك العملية على كبار السن ماعدا الأطفال.[٦٩]

- وتعود إلى دور العبيد[٧٠] الأول والثاني أو أريدو- حاج محمد ، في جنوب العراق والتي ترجع إلى ما قبل الألف الرابع ق.م وبجوار التل الرئيسي ، جبانة واسعة تحتوى على حوالي ألف قبر كل منها بني من اللبن أو الفخار في هيئة صندوق وضع به المتوفى ومعه الأواني والأطعمة اللازمة ،[٧١]. ويذكر جورج رو أنه في أحد مقابر أريدو دفن الموتى على اختلاف أعمارهم مضطجعون على ظهورهم في مقابر محددة ومغطاة بالآجر ، أما في تبة كورة فإن معظم مقابرها لا تعدو كونها حفرا بسيطة جلفة مجمعة حول المعابد تسجى فيها الأجساد منكمشة واحداً إلى جانب واحد ، بينما الأطفال يدفنون في جرار .[٧٢]ولقد عثر في أحد المقابر المكتشفة على كثير من الأواني الفخارية ومن المحتمل أن تكون المقابر عائلية . وفي موقع " أور". دور العبيد عثر على ثلاثة قبور عبارة عن حفر محفورة في رواسب طبقة الطوفان وتعبد أرضيتها أحيانا بكسر الفخار ، ووضع المتوفى ممددا واليدان متشابكتان فوق الحوض .[٧٣]

- وفي مرحلة العبيد الثالثة والرابعة نرى أن هناك مقابر قد أقيمت خارج المساكن ومستقلة، عدا بعض المواليد الجدد الذين دفنوا داخل المساكن ، وقد زودت الدفنات بالقرابين والأواني والتماثيل وأحيانا بأشكال غريبة من السفن من الطين ، والتي تدل على معرفة أهل العبيد للملاحة النهرية وربما البحرية البسيطة ، ويرى محيسن أنها ربما تدل على الاعتقاد بمسالة رحلة الميت إلى عالم البحار المظلم ؟[٧٤]

- وفي دور الوركاء[٧٥]حفر العراقيون مقابرهم لدفن موتاهم والحفاظ على جثثهم دونما الإيمان بعقيدة الخلود كما أسلفنا[٧٦] ، وكان القبر عبارة عن حفرة مبطنة بالحصير على جانبه يرقد فيها المتوفى ملفوفا بالحصير على جانبه دون تحديد الاتجاه علي هيئة القرفصاء واليدان مضمومتان وموضوعتان أمام الرأس وعادة تحملان كوبا أو آنية صغيرة وقد صاحب المتوفى تمائم في أشكال إنسانية وحيوانية لتبعد عنه الأرواح الشريرة.[٧٧]

---

[٦٩] سلطان محيسن ، المرجع السابق ، ١٠٨

[٧٠] انظر G.Roux,Op.cit,59ff.

[٧١] أحمد سوسة، المرجع السابق ، ٩٩، ١٠٤

[٧٢] جورج رو ، المرجع السابق ، ١٠٠

[٧٣] ، سليمان سعدون البدرى ، منطقة الخليج العربي خلال الألفين الرابع والثالث قبل الميلاد ، الكويت ١٩٧٤، ٤٦

[٧٤] سلطان محيسن ، المرجع السابق ، ١١٦

[٧٥] انظر G.Roux,Op.cit,68ff; S.L.Woolley,Ur' of the Chaldees', London 1982 36ff.

[٧٦] ولذا اهتم الإنسان العراقي منذ بداية حضارة العبيد ببناء الهياكل والمعابد الإلهية الزاقورات والتي كثرت أعددها أن الإنسان يظل في خدمة معبوده حتى الوفاة ولأن الخلود للمعبودات فقط . انظر الحاشية رقم فيما بعد .

[٧٧] سليمان البدرى ، المرجع السابق ، ٨٣-٨٤

- ومن دور جمدة نصر المؤرخة بنهاية الآلف الرابع ق.م [٧٨] كشف عن العديد من المقابر في موقع أور ، في شكل متراص بعضها فوق بعض والمدافن السفلية محفورة في طبقة الفيضان ، ويبلغ عدد المقابر حوالي ٣٥٠ مقبرة ، وفي معظم حالات الدفن كان المتوفى يلف بالحصير ويتخذ اتجاها من الشمال إلى الجنوب أو من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي [٧٩]، أما الجثة فقد فكانت ترقد على جنبها ملتوية بشدة والرأس ينحني إلى الصدر والساقان يرتفعان لتكون الركبتان زاوية قائمة مع الجسم وربما تلمس الذقن بينما يلامس كعب الرجل ردف المتوفى ، أما الأيدي فتوضع في مواجهة الوجه وتبعد قليلا وقد تحمل آنية صغيرة. ومما لاشك فيه أن هذا الوضع المختلف عن الأوضاع السابقة في حضارات العراق له دلالته العقائدية عند أهل جمدة نصر .[٨٠]
- هذا وقد استمر شكل المقبرة ووضع المتوفى كما هو عليه مع زيادة الأواني والأدوات المصاحبة ، خلال أسرة أور الأولى ، ولاسيما في المقابر الملكية[٨١].**(لوحة ٦/ شكل ب)**.

ثالثا / إيـــــران:-

- عثر في كهف "بيهستون" الذي يقع شرق كرمنشاة و المؤرخ بالعصر الحجري القديم الأوسط على بعض الأدوات الموستيرية وبقايا عظام إنسانية ، وكذلك في كهف "تمتامة" المؤرخ بنفس الفترة ويقع بقرية شيكاك الكردية .[٨٢]
- وإلى العصر الحجري القديم الأعلى يرجع كهف "هوتو" الذي عثر فيه على ثلاثة هياكل عظمية لرجل وامرأتين تعود لتلك الفترة ، يبدوأنهم ماتوا نتيجة لسقوط كتلة صخرية وقعت عليهم من سقف الكهف .[٨٣]
- وفي تبة "أسباب" المطلة على نهر كاراسو والمؤرخة بالعصر الحجري الوسيط عثر على دفنتين نثر فوقهما تراب أحمر مما يشير إلى معتقد جنائزي ، ومعهما كميات كثيرة من العظام الحيوانية والأصداف النهرية.[٨٤] وبالنسبة لتغطية الجسد باللون الأحمر والذي استمر خلال العصر الحجري الحديث [٨٥]، والتي كانت عبارة عن أوكسيد الحديد، يرى البعض أن هذا اللون ربما يشير إلى إعطاء الحياة إلى المتوفى باعتباره لون الدم [٨٦]،

---

[٧٨] انظر ..G.Roux,Op.cit,76ff

[٧٩] يرى البدرى أن ذلك ربما له تفسير اقتصادي حيث إن هذه الطريقة قد تعطي وفرا في مساحة الأرض المستغلة للدفن . سليمان البدرى ، المرجع السابق ، ٩٧.

[٨٠] سليمان البدرى ، المرجع السابق ،٩٦-٩٧ .

[٨١] S.L.Woolley, Op.cit ,51 ff

[٨٢] أحمد سليم، دراسات في عصور ما قبل التاريخ /مصر .العراق.ايران، الإسكندرية،١٩٩٨، ١٨٠ - ١٨٣

[٨٣] أحمد سليم، المرجع السابق ، ١٨٦-١٨٧ ؛ انظر- C.S.Coon, "Excavation in Hotu ,Iran-1951/Apreliminary" , PAPS.3(1952)131ff

[٨٤] أحمد سليم، المرجع السابق ، ١٩٧

[٨٥] تقسم الحقبة الحضارية في إيران منذ بداية العصر الحجري الحديث ثم الحجري النحاسي وحتى حوالي ٣٠٠٠ ق.م إلى ثلاثة مراحل حضارية ، تنتهي بالفترة العيلامية .

[٨٦] أحمد سليم، المرجع السابق ، ٢٠٦

وهذا يعنى الإيمان بالحياة الأخرى، وإن كان ذلك لم يستمر في معتقداتهم خلال العصور التاريخية.

- هناك حضارة حجي أو حاج فيروز التي وجدت آثارها في "تل صغير" إلى الجنوب من بحيرة أورميا، وهي معاصرة لحضارة حسونة في العراق ، عثر بها على ثلاثة قبور جماعية لثمانية وعشرين شخصا وكانت بعض عظام الموتى مفصولة تماما ، بينما يبدو بعضها وقد خلا من اللحم وقد ربطت مع بعضها أثناء عملية الدفن ، وقد نثر فوق مجموعات العظام تراب الحديد الأحمر ، ووضع معهم بعض الأواني الفخارية الخالية من الرسوم ونصال حجرية وفأس حجري .وقد رأى البعض أن تلك القرية تعرضت إلى حرب مدمرة ومذبحة بشرية .[٨٧]
- تؤرخ منطقة " علي كوش" ومراحلها في عربستان في جنوب غرب إيران وبالقرب من تبة جوران ، بالعصر الحجري الحديث أيضاً ، ونجد بها عادات دفن الموتى داخل المنازل في حفر عميقة و في وضع القرفصاء بينما لفت الجثث بحصير من القصب و طليت بالمغرة الحمراء و زودت بقرابين ومواد ثمينة ونادرة ، وفي طبقة "علي كوش"الثالثة والتي يطلق عليها مرحلة محمد جعفر (A2-A1) ، انتقلت المقابر إلى خارج المنازل ووضعت الجثث منثنية ومستلقية على الجانب الأيسر ووجهها باتجاه الغرب عموماً.[٨٨]

- دفن أهل حضارات تبة سيالك من الأولى إلى الثالثة أقدم الحضارات في العصر الحجري الحديث موتاهم أسفل أرضية المنازل في وضع القرفصاء ووضعوا معهم بعض الأثاث الجنائزي [٨٩]. وفي التل الشمالي من تبة سيالك تل باكون في المقبرة رقم (T5) عثر على هيكل عظمي وبجوار يده فأس حجرية وبالقرب من رأسه زوج من فكي ماعز ، [٩٠] **(لوحة ٧أ شكل أ)** ربما كقربان .وكان الموتى في سيالك يدفنون بشكل عام في اتجاه محور شرق-غرب وقد نثر على الجثث أيضا تراب الحديد الأحمر.[٩١]
- وفي تبة جوران المؤرخة بالألف السادس ق.م ، لم يعثر إلا على دفنة واحدة على هيئة القرفصاء موضوعة في قبر بيضاوي.[٩٢]
- وفي تبة "جيان" جنوب غرب مدينة نهاوند ، يلاحظ أن بناء الجبانة جاء لاحقا لمرحلة الاستقرار السكني ، وقد نتج عن ذلك تركز المقابر في الجزء العلوي للتل الأثرى الذي يصل ارتفاعه إلى حوالي ١٩ متراً . حيث تم الكشف عن ١١٩ مقبرة في هذا الجزء [٩٣].

---

[٨٧] جيمس ميلارت، المرجع السابق ، ٩٦-٩٧،أحمد سليم، المرجع السابق ، ٢٢٢-٢٢٣
[٨٨] سلطان محيسن ، المرجع السابق ، ٤٧-٤٨، انظرأحمد سليم، المرجع السابق،٢١٧-٢١٨
[٨٩] محمد أبو المحاسن عصفور ، معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم ، بيروت ١٩٨١ ٣٩١-٣٩٣
[٩٠] أحمد سليم ، المرجع السابق ، ٢٠٦-٢٠٧
[٩١] أحمد سليم، المرجع السابق ، ٢٤٧-٢٤٨
[٩٢] أحمد سليم، المرجع السابق،٢١١
[٩٣] أحمد سليم، المرجع السابق ، ٢٥٠

- وفي تبة "دالما" تم الكشف أسفل أرضيات المساكن في كلا الطبقتين اللتين تعودان إلى العصر الحجري الحديث ، عن أربعة عشر أناء فخاريا كانت تستخدم لدفن الأطفال ، وهي تشبه ما ظهر بعد ذلك في تبة سيالك و تبة جيان [٩٤].

- وفي الطبقة السابعة من كهف "بلت" كشف عن العديد من الدفنات ، ومنها هيكل عظمي لفتاه صغيرة ظهرت بقايا اللون الأحمر عليها. كما كشف عن هيكل عظمي لسيدة ممسكة بطفل بين يديها بينما هناك طفل آخر بجوارها وخلفهم هيكل رجل ، ويبدو أنهم جميعا أسرة واحدة ربما دفنوا في وقت واحد،لسبب ما ، ولم يعثر معهم على أثاث جنائزي.[٩٥]
- وفي المرحلة الحضارية الثانية أو سيالك الثانية في إيران والتي تؤرخ بحوالي نهاية الآلف الخامس ق.م ظل الأهالي يدفنون موتاهم أسفل أرضيات المنازل بين الأحياء ، ولم يدفنوا في اتجاه محدد ، وظلوا يدفنون في وضع القرفصاء بينما وضع الأذرع ليس ثابتا في وضع واحد ، ونثر فوق الجثث أكسيد الحديد الأحمر الذي ترك آثارا حمراء على العظام، والجدير بالذكر أنه لم يعثر على أية تجهيزات جنائزية في المقابر التي عثر عليها خلال تلك المرحلة[٩٦].

- وفي مرحلة سيالك الثالثة كشف عن تسع عشرة دفنة في الطبقات المنتمية لتلك الحضارة ، ثلاث منها لثلاثة أشخاص بالغين و ست عشرة لأطفال تتراوح أعمارهم ما بين ثلاث و خمس سنوات . ودفن الموتى في وضع القرفصاء أسفل أرضيات المساكن . وقد كانت الهياكل العظمية المدفونة في الطبقات الأولى من الموقع تحمل أثار لون أحمر على الجماجم فقط وليس على العظام كلها كما سبق وكان اتجاه الموتى جنوبي شمالي ويرقدون على الجانب الأيمن ،وقد صاحب المتوفى مجموعة أوان وكئووس مصنوعة من المرمر كانت توضع أمام الفم أو وراء الجمجمة كما وجدت في رقاب بعض الموتى قلادات صغيرة من اللؤلؤ والعقيق والنحاس . ولكن منذ الطبقة الأثرية الرابعة اختفت ممارسة وضع التراب الأحمر على أجساد الموتى تماما ، ولم يدفن الموتى في اتجاه واحد وكانوا على جانبهم الأيسر وقد وجدت ثلاثة أوان عادية وخاتم ودبوس كبير مع الدفنة .[٩٧]

- وفي تبة "حسار"في شمال إيران ذات الثلاثة مراحل الحضارية والتي تعاصر حضارات سيالك الثلاثة ، كشف عن ١٤٤ دفنة ترجع إلى المرحلة الأولى ، كان الموتى فيهم يرقدون على الجانب الأيمن ، وفي بعض الحالات وجدت الأيدي ممتدة في وضع يوحي بأنها كانت ممسكة بكوب أو إناء ، ولكن بشكل عام كانت تترك الأذرع والأيدي في وضعها الطبيعي وكانت الأرجل منثنية، وقد لوحظ أن الموتى خلال المرحلة الأولى كانوا يدفنون ووجوههم تتجه ناحية الشمس وذلك وقت الدفن .

وفى دراسة للهياكل العظمية التي عثر عليها في تبة حسار في مرحلتها الأولى تبين أن نسبة الوفيات الأطفال كانت مرتفعة ، كما تبين أن نسبة الإناث البالغات كانت منخفضة جدا

---

[٩٤] أحمد سليم، المرجع السابق ،٢٥٥
[٩٥] أحمد سليم، المرجع السابق،٢٢٨
[٩٦] أحمد سليم، المرجع السابق ،٢٧٣
[٩٧] أحمد سليم، المرجع السابق ،٣٠٢

تتراوح مابين ٢١% إلى ٢٩% ، وقد حاول البعض تفسير ذلك بأنه قد يرجع إلى احتمالية قيام أهل تبة حسار بوأد الإناث وهن في سن الطفولة ربما كتضحية بشرية بنفس الطريقة التي كانت متبعة في بعض مناطق الشرق الأقصى والشرق الأدنى ولكن لا توجد أدلة كافية تؤيد ذلك.[٩٨] لاسيما أن نسبة الإناث قد ازدادت في المرحلة الحضارية الثانية ولكنها قلت مرة أخرى في المرحلة الثالثة [٩٩]، وقد دفن الموتى كالعادة أسفل المساكن حيث لم يخصص لهم مكان مستقل ، ويرجح انهم كانوا يدفنون في حفر قليلة الغور كانت أرضيتها تغطى بالحصير ويلف الجسد في بعض الأحيان بالأقمشة ، وقد زودت الدفنات بالأواني الفخارية و الدبابيس النحاسية وأدوات الزينة و الأحجار الكريمة والأختام .[١٠٠]

رابعا / الأناضول:-

- دفن سكان الأناضول موتاهم خارج المنازل . ,واهتموا أيضا بالجماجم ودفنوها بشكل منفرد وقرب المواقد كما كان متبعاً في بلاد الشام ، وقد ظهرت تلك العادة في أهم المواقع الأناضولية وهى منطقة "تشايونو" وكذا موقع "هاتشيلار" حيث مارسوا أيضا عبادة الأسلاف.[١٠١]
- وفي موقع "**شتال هويوك**" الشهير Catal Hüyük الذي يرجع أقدم طبقاته إلى حوالي ٧٠٠٠ ق.م اتضح أن السكان آنذاك كانوا يدفنون موتاهم أسفل المنصات في المنازل(**لوحة ٧/شكل ب**) وفي الصوامع، بعد أن يزال اللحم عن العظام وربما كانوا يقومون بذلك كما يشير ميلارت لأسباب صحية ويرى الباحث أنها لأسباب عقائدية، ربما لكي يطهروا موتاهم مما يكسوهم من اللحم و الأديم اللذين قد يشيران إلى حياتهم الدنيا ودنوبهم فيها ؟ ، وكانت عمليات نزع اللحم البدائية تتم كما يوضح أحد المناظر على جدار إحدى الصوامع ، في الأبنية الخفيفة المقامة من القصب والحصير،أو بواسطة النسور ، وبعد ذلك كانت الجثث الخالية من اللحم تجمع وتلف في قماش أو جلد وتدفن قبل عملية الترميم والزخرفة التي تجرى للمنازل سنويا . وفي بعض الأحيان كانت الجثث البشرية تدهن بالمغرة الحمراء أو كبريتات الزئبق ، كما يدهن العنق والجبهة باللونين الأزرق والأخضر ، وكان بصحبة الموتى مجموعة من الأشياء الثمينة فالنساء والأولاد يزودون بالجواهر والعقود والأساور والملاعق العظمية، وكبار السيدات يوضع معهن المرايا وأدوات الزينة، أما الرجال فيدفن معهم الصولجان والخناجر الصوانية والسهام ، كما وضعت الأقمشة والأوعية الخشبية مع الجنسين ولم يعثر على أوان فخارية أو تماثيل صغيرة [١٠٢](والتي عثر عليها داخل معابد تلك الفترة).

والجدير بالذكر أن هناك رسومات ومنحوتات قد ظهرت على جدران المنازل في هذه المنطقة تمثل ثيراناً مزودة بقرون حقيقية وبجانبها صورت حيوانات أخرى مثل الكباش والغزلان وأيضا صورت نباتات وأشكال هندسية ، ولكن الأهم أنه بجوار تلك الرسومات وضعت بعض الجماجم على أرضيات المساكن ربما لتدل على نفس العقيدة بتقديس الأسلاف[١٠٣] **(لوحة ٨ / أشكال أ،ب).**

---

[٩٨] أحمد سليم، المرجع السابق ،٣١٩وما بعدها.
[٩٩] أحمد سليم، المرجع السابق ،٤٠٦
[١٠٠] أحمد سليم، المرجع السابق ،٣٤٠
[١٠١] سلطان محيسن ، المرجع السابق ، ٧٨
[١٠٢] جيمس ميلارت، المرجع السابق ، ١١٦-١١٨، انظر سلطان محيسن ، المرجع السابق،٩٠.
[١٠٣] سلطان محيسن ، المرجع السابق ، ٩١

ونشير هنا إلى رأى كوفاك بالنسبة لمسألة ترك الجثث للصقور لنهشها[١٠٤] ما يستدل على ذلك من مناظر الجدران ، فهو يرى أن تلك الشعيرة كان يجب أن تترك آثارها على العظام ، وربما تمثل المناظر صوراً أسطورية تتعلق بالحياة بعد الموت أو ما وراء الموت ، حيث أن العقاب في شتال هويوك هو أحد رموز الإلهة الأم كسيدة للعالم الآخر .[١٠٥] وإن كان الباحث يتساءل هنا كيف تنهش إلهة أم أجساد موتى وهي المفروض أن ترعاهم ؟.

خامساً / شبه الجزيرة العربية:-

- لقد أصبح هناك الآن أدلة كثيرة جيولوجية وأثرية تثبت أن المناطق الصحراوية على الخليج العربي و لا سيما شبه الجزيرة العربية [١٠٦] لم تكن جرداء وقاحلة في معظم عصور ما قبل التاريخ مثلها مثل الصحراء الكبرى . وأنه منذ الألف العاشر ق.م أي بداية عصر الهليوسين وحتى الألف الرابع كانت هناك فترة مطيرة أنعشت الوديان بالمنطقة وسمحت للحياة[١٠٧] . ويذكر سليمان البدرى أن استقرار الإنسان الأول في منطقة الخليج كان على الأراضي التي انحسرت عنها مياه البحر والتي تكونت عبر العصور ، أي يجب البحث عن بقايا الإنسان عند بقايا الأودية والسهول وهي الأماكن التي نشأت بجوار سفوح الأراضي المتاخمة للشواطئ القديمة .[١٠٨]، وقد أشير حديثا إلى اكتشاف بقايا نهر كبير في منطقة الربع الخالي [١٠٩]
- ولكن ربما بعد ذلك أدى جفاف المناخ وندرة الأمطار وازدياد الرقعة الصحراوية إلى جعل تلك المنطقة منطقة طرد لسكانها فيما بعد العصر الحجري الحديث . [١١٠]
- ويرى البعض أن منطقة شبه الجزيرة العربية قد لعبت دورا أصيلا في تاريخ الشرق الأدنى ، محاولين إثبات ذلك منذ العصور الحجرية ، داعين مثلا إلى الأصول العربية لحضارات بلاد الهلال الخصيب وخلافه.[١١١]، والمؤكد هنا هو بعض السمات

---

[١٠٤] كما هو الحال الآن عند قبائل البارسيس بالهند . جاك كوفان، المرجع السابق ، ٧٦.

[١٠٦] طبقا لسيلمان سعدون البدرى فإن التقسيم الجغرافي للخليج العربي المعاصر ينقسم إلى١ -شبه جزيرة مسندم ورؤوس الجبال في الجنوب ٢-الساحل الغربية يضم قطر والبحرين والساحلين السعودى والكويتى ٣-رأس الخليج ويضم جزء من الساحل الكويتي وسواحل العراق وجزءا من الساحل الإيراني ٤-الساحل الشرقي ويقع على السواحل الإيرانية . وسيهتم البحث هنا بالجزأين الأول والثاني ، سليمان سعدون البدرى ، منطقة الخليج العربي خلال الألفين الرابع والثالث قبل الميلاد ، الكويت ١٩٧٤، ٢١ وما بعدها.

[١٠٧] تقي الدباغ ، الوطن العربي في العصور الحجرية ، بغداد ١٩٨٨ ، ٥٠-٥١ ؛ سليمان البدرى ، المرجع السابق ، ٣٥ وما بعدها ؛ قارن، لطفي عبد الوهاب ، العرب في العصور القديمة ، ط ٢ الإسكندرية ، ٩٤؛ عبد العزيز صالح ، تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة ، القاهرة ، ١٩٩٤، ٢٤

[١٠٨] سليمان البدرى المرجع السابق ، ٤١ ؛

[١٠٩] أبو المحاسن عصفور ، المرجع السابق ،

[١١٠] علاء شاهين ، تاريخ الخليج و الجزيرة العربية القديم ، الكويت ١٩٧٧، ١٧

[١١١] أحمد سوسة ، المرجع السابق ، ، يذكر هيرودوت أن الفينيقيين كانوا يدعون في عهده أن أسلافهم قد

الحضارية المتشابهة بين المنطقتين في تلك الفترة مثل الأختام ونقوش الفخار .[١١٢] إلا أننا سنستعرض هنا أهم الاكتشافات الأثرية والتي تهم موضوع البحث في تلك المنطقة مع مقارنتها ببقية بلدان الشرق الأدنى .

- في **الكويت** هناك مواقع تنتمي إلي العصر الحجري القديم الأوسط مثل موقع الصليبخات وموقع كاظمة إلا أن منطقة جزيرة "فيلكا" تعتبر أهم المواقع الأثرية والتي تضم كثيرا من التلال الأثرية مثل تل سعد وتل سعيد وتل الخزنة وغيرها ، وتتضح سماتها الحضارية في مراحل أو طبقات فيلكا(٣) وفيلكا (٦)[١١٣] . وتؤرخ تلك المرحلة الأخيرة بالألف الثالث ق.م ورغم المخلفات الأثرية الكثيرة التي عثر عليها ، لم يعثر على الجبانة مما دعا إلى الاعتقاد بان الجزيرة ربما لم تستخدم للدفن وأن الأهالي دفنوا موتاهم في مكان مستقل بالخارج ، إلا أن هناك تلالاً في جنوب الجزيرة لم تحفر بعد وربما يعثر فيها على الجبانات.[١١٤]

- وفي دولة **البحرين** التي ذكرت في أسطورة الطوفان باسم "دلمون" [١١٥]، أثبتت البعثات الأجنبية والمحلية مدى أهمية مواقعها الأثرية خلال العصور الحجرية والبرونزية ، وقد ادعى بعض العلماء أن منطقة البحرين كانت مجرد جبانة كبيرة لسكان الساحل الشرقي من شبه الجزيرة العربية ، بناء على عدم العثور على المواقع السكنية في البداية وكثرة الكشف عن تلال جنائزية ، إلا أن المكتشفات الأثرية أكدت إنها كانت آهلة بالسكان . وتؤرخ مواقعها الأثرية بالألف الثالث ق.م وتعرف باسم حضارة "باربار" ، وقد عثر في موقع القلعة على أوان فخارية سميكة الجدران استخدمت للدفن ،[١١٦] وتنتشر في البحرين مجموعة من التلال الجنائزية ، يحتوى كل تل منها على حجرة أو أكثر مشيدة من الحجارة وتمثل الحجرة مقبرة مفردة لشخص واحد، وهي مبنية من الحجر ومزودة بغرف صغيرة في طرفها الشرقي مما يعطي القبر شكل حرف T (**لوحة٩/ شكل أ**)، وتأخذ غرفة الدفن اتجاه من الشرق إلى الغرب وهي متقنة البناء ويرى سليمان البدرى إنها تشبه إلى حد ما صنوف المقابر ذات الأعمدة التي عثر عليها في أور ، كما تشبه المصاطب المصرية القديمة المنتمية إلى الألف الثالث ق.م . وقد عثر على حوالي مائة مقبرة معظمها تخص عامة الشعب ،ولم يعثر في أي من القبور على ما يدل على ترتيبها واستخدامها ووضع المتوفى ، غير أنه عثر في حالتين على هياكل عظمية لم تتعرض للنهب ، كان فيهما جسم المتوفى موضوعاً على جانبه الأيمن والرأس متجهة إلي الشرق ورجلاه في وضع ممدد وهو ما يشبه وضع المتوفى في بلاد ما بين النهرين في الألف الثالث ق.م. وتتكون التلال الجنائزية في البحرين بشكل عام من نوعين النوع الأول يتألف من كومة من الأحجار تعلو بعضها البعض تصل إلى حوالي متر في ارتفاعها وتضم حجرة دفن

أتوا من الخليج العربي .

[١١٢] سليمان البدرى المرجع السابق ، ٢٤

[١١٣] سليمان البدرى المرجع السابق ، ١٠٤

[١١٤] سليمان البدرى المرجع السابق ، ١٠٩

[١١٥] علاء شاهين ، المرجع السابق ، ١٢٣ وما بعدها.

[١١٦] سليمان البدرى المرجع السابق ، ١١٥-١١٧ شكل ٣٥

مربعة ، وتحيط بالتل دائرتان من الكتل الحجرية. أما النوع الثاني فيأخذ شكلاً (مخروطياً) ويغطى بالطين إلي ارتفاع أربعة أمتار وتحيط به دائرة قطرها حوالي ثلاثين متراً ، وهناك تلال يصل ارتفاعها اثنى عشر متراً .وقد اختلفت بعض التقسيمات داخل التلال ، وفي إحدى غرف الدفن عثر على إناء من بيض النعام، وبقايا هيكل عظمي يرقد على جانبه الأيمن ، وفي نهاية القبر عثر على سهمين من النحاس مغروزين في الجدار. وعند منطقة "جبل دخان " عثر على مجموعة تلال جنائزية ، عثر في أحد تلالها على مدفن عبارة عن حجرة من الحجر مساحتها ١٨٣×٦٥ سم عثر بها على فجوة في الجدار الشمالي ، ووجدت الجثة على الجانب الأيمن تتجه الرأس إلى الشرق والساقان منثنيتان و اليدان أمام الوجه ، ويشبه الوضع هيئة الركوع ، وقد عثر فوق الرأس على إناء من الفخار .ويعلق البدرى على عقائد الدفن في البحرين ، بأنها قد تدل على نوع من الإيمان بالعالم الآخر وربما بالخلود (مثل مصر) ، بدليل تشييد المقابر الضخمة من الحجر ووجود بعض القرابين في صحبة المتوفى ، وكذا وضع المتوفى في هيئة ثابتة واتجاه معين يدل على عقيدة دينية .[١١٧]

و يضيف معاوية إبراهيم دراسة عن أعمال التنقيب العربية بالبحرين والتي كشفت عن مجموعة تلال جنائزية تصل إلى ٦١ تلا وتتميز بعدة أنواع، تلال بمدفن واحد فوق سطح الأرض (**لوحة ٩/ب**)، أو بمدفن واحد مقطوع في الصخر ، وتلال بمدفن رئيسي يتصل بمدافن جانبية وتلال بمدفن رئيسي يتصل ببئر وأخيرا مدافن مترابطة .واتضح من دراستها أن بعضها يعتبر تطور عن الأخر، وقد أماطت البعثة اللثام عن حوالي مائتي قبر ، وفي النوع الاول من التلال كان المتوفى يرقد القرفصاء ورأسه متجهة شرقا والجسد نحو الشمال غالبا ، وكشفت البعثة أيضا مجموعة من التلال كانت مخصصة للأطفال (**لوحة ١٠/شكل أ**) اشتملت على حوالي ألف قبر . أما عن القرابين التي صاحبت المتوفى فكانت عبارة عن أوان فخارية وأوان حجرية وأوان مصنوعة من سعف النخيل مغطاة بالقار وبيض نعام وأصداف وأسلحة ورؤوس سهام وحلي برونزية و أكثر من عشرين ختما مصنوعة من الأصداف والأحجار.[١١٨]

- وفي موقع جزيرة " تاروت" **بالسعودية** التي تؤرخ بفترة ما قبل التاريخ فيها ما بين حضارة العبيد وحضارة باربار ، عثر على مجموعة تلال جنائزية مغطاة بالطين وتأخذ شكل القمع ، ويضم التل حجرة دفن وسقفها يتألف من كتل صغيرة من الحجر الجيري وتقع هذه التلال في الجنوب الشرقي من الجزيرة ، وقد عثر على مقابر يحيط بأضرحتها ملاط من الجبس وتتناثر حولها كسرات كثيرة من الإستياتيت والالباستر .[١١٩]

وفي منطقة الظهران عثر على آلاف المقابر التي تنتمي إلى مرحلة متأخرة من فترة البحث يذكر إنها تؤرخ بالعصر البرونزي ، وهي عبارة عن دائرة من الاستحكامات الترابية الواطئة، ويضم المدفن الواحد والمتجه شمالا غالبا تابوتا حجريا كما تضم المدافن

---

[١١٧] **سليمان البدرى المرجع السابق ، ١٣١-١٣٣**

[١١٨] **معاوية إبراهيم ،" أول بعثة اثري عربية مشتركة في البحرين " في مجلد دراسات تاريخ الجزيرة العربية /الكتاب الثاني ، الجزيرة العربية قبل الإسلام ،الرياض ١٩٨٤ ، ٢٥ وما بعدها .**

[١١٩] سليمان البدرى المرجع السابق ، ١٣٩-١٤٠

الكبيرة اكثر من حجرة دفن مبنية من الخشب وتواجه أبوابها الناحية الجنوبية الغربية ويرى البعض أن أصحاب هذه المدافن هم الدلميون الذين كانوا يحكمون الأحساء والبحرين وكانوا يقومون بالتجارة مع السومريين كما اشتركوا معهم ومع الآشوريين في حروب .[١٢٠]

- وفي موقع الثمامة الواقع شمال شرق مدينة الرياض ، والمؤرخ بالعصر الحجري الحديث ، عثر على مجموعة أنصاب حجرية ومدافن [١٢١]

- في **قطر** اكتشفت أهم وأقدم المناطق الحضارية في شبه الجزيرة العربية حتى الآن ، وقد قسمت مراحلها الحضارية إلى أربع فترات(من الأولى إلى الرابعة) تبدأ مع مخلفات العصر الحجري القديم الأسفل ، ثم حضارة رؤوس السهام / العصر الحجري القديم الأوسط ، وحضارة العصر الحجري الوسيط، وأخيرًا حضارة العصر الحجري الحديث أو حضارة الشظايا المضغوطة .[١٢٢] في الشمال الشرقي من منطقة دخان بمحاذاة الساحل الغربي تم الكشف عن تلال جنائزية قد ترجع إلى الألف الثالث ق.م .[١٢٣]

وفي الشمال الغربي من شبه الجزيرة عند منطقة الفريحة تم العثور على نحو خمسين تلا تم التنقيب في إحداها ، ويمثل التل رجما حجريا يحيط بمدفن حجري يتجه من الشمال إلى الجنوب (على عكس مدافن البحرين التي تتجه من الشرق إلى الغرب) ، وكان المتوفى يرقد في وضع شبه مثني ويرقد على جانبه الأيمن ويتجه رأسه إلى الشمال ، واليدان موضوعتان أمام الوجه ولم يعثر على أشياء مصاحبة للمتوفى . وقدر العلماء هذه المقابر بأنها لابد أن ترجع فيما قبل الإسلام دون إعطاء تاريخ محدد.

وفي أم الماء وشرق أم صلال عثرت البعثة الدنماركية على مقابر أخرى بها عدد من رؤوس السهام الحديدية .[١٢٤]وتصل هذه المقابر إلى حوالي خمسين مقبرة دائرية من ركام الحجارة والمدفن مغطى ببلاطات ، وفي أحد المقابر كان المتوفى يوضع فيها إلى جانبه الأيمن ورأسه متجهة إلى الناحية الشمالية والمدفن متجه من الشمال إلى الجنوب، ولم يعثر على قرابين (**لوحة ١٠ / شكل ب ، لوحة ١١/ شكل أ**).[١٢٥]

- وفي **الإمارات العربية** هناك موقع جزيرة "أم النار" التابعة لأبي ظبي والذي كشف فيه عن تل مقسم إلى أربع طبقات أو مراحل حضارية ، وفي الطبقة الثانية المؤرخة بالألف الثالث ق.م عثر على مجموعة تلال جنائزية تميزت مقابرها عن ما ذكر سابقا بكثرة الأواني الفخارية والتي وجد بعضها سليماً ومزخرفاً كأثاث جنائزي

---

[١٢٠] سليمان البدرى المرجع السابق ، ١٤١

[١٢١] عباس سيد احمد ، "ما قبل التاريخ في الجزيرة العربية " (مجلة الدارة)العدد الثالث-السنة السادسة والعشرون ،١٤٢١ هـ، ص.١١١.

[١٢٢] سليمان البدرى المرجع السابق ، ١٥٠

[١٢٣] نخبة من العلماء الدنماركيين ، صفحات عن ما قبل التاريخ في قطر ، تعريب د. مصطفى الفار ،وزارة الأعلام والثقافة ، الدوحة ١٩٩٦، ١٦

[١٢٤] سليمان البدرى المرجع السابق ، ١٥٣-١٥٤؛ نخبة من العلماء الدنماركيين ، المرجع السابق ، ١٠٨

[١٢٥] نخبة من العلماء الدنماركيين ، المرجع السابق ، ٢٥-٢٦

وكذا قطع الحلي و الأسلحة البرنزية (**لوحة ١١ /شكل ب**) ، هذا فضلا عن النقوش التي وجدت بالقرب من المدافن . مما يشير إلي اهتمام بمسالة العالم الأخر. وفي منطقة واحة البريمي وموقع "هيلي" عثر على أبنية دائرية حجرية كمدافن ، وعثر على بعض الأسلحة البرونزية التي ربما كانت تدفن مع الموتى(**لوحة ١٢ /شكل أ**) ،وفي رأس الخيمة عثر على مقابر حجرية مستطيلة تضم قبابا عند الأطراف[١٢٦] .

وفي منطقة جبل الظنة كشفت بعثة عراقية عن بقايا مقبرة صغيرة مؤلفة من أثنى عشر مدفنا تتشابه مع مقابر أم النار وعثر بها على فخار أحمر وكمية من العظام الآدمية وصدف.[١٢٧] ويرى البعض أن أهل جزيرة النار ربما كانوا يعتقدون في مسألة التضحية بالأتباع حين دفن سادتهم.[١٢٨] والجدير بالذكر أن هناك من اللقى الأثرية ما يشير إلى التفاعل الحضاري بين البحرين وبلاد الهلال الخصيب وبلاد السند والهند .

- وفي سلطنة **عمان** كشفت البعثة الإنجليزية عن مدافن ما قبل التاريخ في منطقة التلال الأثرية في" طوي سليم "بالشرقية ، والتي تمثلها التلال من ١-٤ وتؤرخ بمعاصرة أو بعد فترة مدافن منطقة "حفيت بالقرب من العين التي تعاصر بدورها فترة جمدة نصر بالعراق[١٢٩] . وقد أثبتت الحفائر وجود المقابر ذات الركام الدائرية من الحجر الجيري المخلوط بالحصى الغامق ، وكانت بعض المقابر تستخدم أكثر من مرة . وبشكل عام فقد كانت هناك أربعة أشكال من حجرات الدفن ، حجرة بيضاوية الشكل صغيرة ولها من الجهة الشرقية مدخل ومحاطة بتل أثري يتكون من ركام غير متماسك(تل٤) و حجرة مستديرة الشكل صغيرة ولها مدخل من الناحية الشرقية ومبنية من الحجر الجيري الخشن ومحاطة بالركام(تل ٣-٢) (**لوحة ١٢ / شكل ب ،لوحة ١٣ /شكل أ**) ، ثم حجرة صغيرة مستديرة الشكل ذات جدار عال ولها مدخل من الجهة الشرقية ومسدودة بإحكام بحائطين من دائرتين ذات مركز مشترك علاوة على قاعدة خارجية لعمد أو تمثال (تل ١) . وهناك أبنية على شكل خلايا النحل على كل الجروف والسفوح لجبل حوراء وتتميز بغرفتين من البياض كما أن لكل منهما مدخلا ، هذا ويعتبر التل الرابع أقدم التلال على الإطلاق . وقد عثر في المقابر على لقى كثيرة من الفخار والخرز والقواقع ومسمار وحيد من النحاس ، أما عن البقايا البشرية فقد كانت في حالة سيئة في جميع الدفنات ولم تتوفر معلومات كافية .[١٣٠]

وفي منطقتي بات ورأس الحمراء كشف عن مجموعة مدافن تعود إلى الألفين الرابع والثالث ق.م منها الفردي ومنها الجماعي وقد اتخذت الشكل الدائري وبنيت من الحجر ، وقد عثر بها على لقي أثرية مختلفة ورقد الموتى فيها علي هيئة القرفصاء واتجه بعضهم للشرق

---

[١٢٦] سليمان البدرى المرجع السابق ، ١٥٥ وما بعدها .
[١٢٧] علاء شاهين ، المرجع السابق ، ١٥٤
[١٢٨] علاء شاهين ، المرجع السابق ، ١٥٦
[١٢٩] بي .دي.كارتي وآخرون ، أعمال التنقيب في منطقتي طوى سليم وطوى سعيد في المنطقة الشرقية ، وزارة التراث القومي والثقافي -سلطنة عمان ، عمان ١٩٨٤،٦
[١٣٠] بي .دي.كارتي وآخرون ، المرجع السابق ، ١٦ وما بعدها .

وبعضهم للغرب ، وقد حاول أحمد جلال الربط بين هذين الاتجاهين ومفهوم شروق الشمس وغروبها كما كان في معتقدات المصرين القدماء،[١٣١] وإن كان هذا يحتاج إلى أدلة .
وفي قرية "ياجران" عثر على خمس عشرة مقبرة تؤرخ بالألف الثالث ق.م ، عثر بها على بقايا عظام صغيرة ، وفي أحد المقابر عثر على جمجمة آدمية ، والمدافن نحت معظمها علي هيئة مستطيلة ، وجدرانها مبنية بمداميك من الحجر المحلي وغير مبطنة ببلاطات ولم يستدل على شكل سقفها ، واتجاه الدفنة كان من الشرق للغرب . ويذكر شاهين أن ما عثر عليه بالمقابر من لوازم الحياة اليومية وأسلحة وسهام وحلي ، قد يعتقد معه احتمالية إيمانهم بحياة أخرى بعد الموت.[١٣٢]

- وبالنسبة إلى **اليمن** فهناك كثير من الحفائر ولاسيما التابعة إلى البعثة اليمنية السوفيتية ١٩٨٣-١٩٨٥ ، أثبتت أن هناك مواقع ترجع أقدمها حتى الآن إلى العصر الحجري الوسيط . وفي جزيرة "سوقطرة" عثر على لقي ترجع إلي العصر الحجري الحديث والنحاسي حتى الألف الخامس ق.م وعلى بعض مدافن تلك الفترة هناك .[١٣٣]

سادسا / مصر:-

- لم تكتشف في مصر كهوف للسكنى خلال العصر الحجري القديم الأوسط ، وإن كان من المحتمل وجودها في الأماكن المرتفعة ولكن لم يتم اكتشافها بعد. ورغم ذلك فإن السمات الحضارية لإنسان هذا العصر وأدواته الحجرية قد عثر عليها في أكثر من موقع في العراء في مصر سواء في أماكن حضارات العصر الحجري القديم الأسفل مثل تخوم الصحراء ومنطقة طيبة والجبل الأحمر ، أو في أماكن مستقلة مثل سهل العباسية ومدرجات الفيوم حول بحيرة قارون وكذا عند الارتفاعات السفلي لمدرجات النيل في مصر العليا.[١٣٤] بالقرب من نجع حمادى عند محاجر أبو النور وأسوان[١٣٥] والطبقة الأولى في قرية السبيلية بكوم أمبو .[١٣٦]

- كشفت آثار العصر الحجري القديم الأعلى في أكثر من موقع على الهضبة الممتدة على طول وادي النيل ، وفي الواحة الخارجة و في أبو صير ثم اشهر المواقع في قرية

---

[١٣١] أحمد جلال ، "من مدافن بات وراس الحمرا" ، مجلة مرآة الجامعة -العدد التاسع والاربعون ، ٢٠٠٠ ، ١٠-١١

[١٣٢] علاء شاهين ، المرجع السابق ، ١٨٠-١٨١

[133] G.M.Bulgarelli, " Evidence of Paleolithic Industries in Northern Yemen " in Yemen /3000Years of Art and Civilisation in Arabia Felix ,Frankfurt,1987;

[١٣٤] إبراهيم رزقانة ، الجغرافية التاريخية، القاهرة ، ١٩٥٨، ٣٩٠-٣٩٢

[١٣٥] عبد العزيز صالح ، حضارة مصر القديمة وآثارها ، القاهرة ١٩٨٠، ٦٥-٦٧

[١٣٦] قارن ، جيفري سينسر ، مصر في فجر التاريخ / مشرق الحضارة في وادي النيل ، ترجمة عكاشة الدالي ، مراجعة تحفة حندوسة ، القاهرة ١٩٩٩، ٢١-٢٢

السبيل عند كوم أمبو بمرحلتيها الثانية والثالثة .[١٣٧] . وكذا انتشرت أدوات هذا العصر في الفيوم وحلوان والجيزة وجنوب طريق السويس.[١٣٨].

- أما عن أدوات العصر الحجري الوسيط فقد كشف عنها في وادي الشيخ فضل شوق بني مزار و في بعض الأودية الجافة بالصحراء الشرقية [١٣٩]

◆ لم يعثر حتى الآن على مقابر صريحة لإنسان تلك العصور الثلاثة السابقة في مصر، وإن كانت أدواته بلا شك تؤكد وجوده وممارسته لعقائد الدفن كمثيله في أوربا وبقية بلدان الشرق الأدنى ، كما أن الحفائر الأخيرة في بعض مواقع الصحراء الشرقية ووادي فيران في جنوب سيناء، ووادي القسيمة ووادي جعيفة ووادي دماص ومنطقة القديرات ، قد أسفرت عن عظام إنسانية مختلطة بأدوات حجرية وخشبية وعظام حيوانات ، تشير إلى حياة الإنسان القديم منذ ٣٥ ألف سنة على الأقل.[١٤٠] ويذكر مصطفى عامر أن أقدم الأدلة في مصر على بدء عادة الدفن ترجع إلى العصر الحجري القديم الأوسط حيث وجدت الهياكل العظمية وسط الأماكن التى كان يقيم فيها الأحياء . واستمر ذلك خلال العصر الحجري القديم الأعلى وكانت توضع مع المتوفى بعض الحلي . وقد استخدمت المغرة الحمراء في الدفن أيضا[١٤١] .

- وإذا انتقلنا إلى العصر الحجري الحديث سنجد أن إنسان مصر قد اضطر بعد أن تحولت الأراضي المرتفعة إلى صحراء ، إلى الاستقرار على ضفاف وادي النيل وفي دلتاه ، حيث لعب نهر النيل الدور الأساسي في الاستقرار وفي مساعدة المصريين على الزراعة التي هي عصب الاستقرار ، كما استخدم الطمي الناتج عنه في بناء المقابر والمساكن وكذا في صناعة الفخار فضلا عن ما يمثله النيل من أهميته كطريق مواصلات يربط بين الشمال والجنوب الخ.
- ويمكن للمرء أن يقسم مراحل الحضارات في مصر بدءًا من العصر الحجري الحديث ومارا بالعصر النحاسي و حتى بداية الأسرات (منذ حوالي سبعة آلاف وحتى ثلاثة آلاف سنة ق.م) إلى .ثلاثة مراحل:-

(أ) مرحلة الحضارات المستقلة في موقعها (حلوان النيوليتية ، الفيوم ب، مرمدة بني سلامة ، العمري-حلوان أ ، الفيوم .أ، دير تاسا-البداري)

---

[١٣٧] إبراهيم رزقانة ، المرجع السابق ، ٣٩٣ وما بعدها.،

[١٣٨] عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ٢٧

[١٣٩] على رضوان ، الخطوط العامة لعصور ما قبل التاريخ وبداية الأسرات في مصر ، القاهرة، ١٩٩٩ ،

٢٤، ٢٦ ؛ قارن Beatrix Midant-Reynes, Prehistoire de L 1992,5ff Egypte Paris,

[١٤٠] هذه الأودية تم الكشف عنها بواسطة البعثة الأمريكية جامعة Ellinoy برئاسة جيمس فيليب منذ سنة ١٩٨٤ وحتي الآن .

[١٤١] مصطفى عامر ، "حضارات عصر ما قبل التاريخ" في ، مجموعة من العلماء، تاريخ الحضارة المصرية ، المجلد الأول العصر الفرعوني ، وزارة الثقافة والإرشاد، القاهرة ١٩٦، ص ٤٦

(ب) مرحلة الحضارات المنتشرة في أكثر من موقع (البداري النحاسية ، نقادة الأولى ، نقادة الثانية ، نقادة الثالثة).

(ج) مرحلة الزحف السياسي والتوحيد و الأسرة صفر .

◆ ونبدأ الآن بحضارة مرمدة بني سلامة بالدلتا شمال غرب القاهرة المؤرخة من حوالي ٥٥٠٠الى ٤١٠٠ ق.م ، وتنقسم طبقاتها إلى خمس طبقات للعمران.[١٤٢] وتعتبر مقابرها أقدم مقابر معروفة لدينا حتى الآن ، وهي عبارة عن حفرة بسيطة بيضاوية الشكل وقد عثر على المقابر بين المساكن ، وكان المتوفى يوضع على هيئة القرفصاء على جانبه الأيمن غالبا ويصاحبه بعض الحبوب بالقرب من الفم ، وفي بعض الأحيان نجده يضع إصبعه في فمه ، وكانت رأس المتوفى غالبا نحو الجنوب و نظره ناحية الشرق والشمال الشرقي (**لوحة ١٣ / شكل ب**) . ويرى رضوان أن المتوفى كان يتطلع بالنظر نحو النيل وأن عدم وجود قرابين فيما عدى حفنة الحبوب . يعلل باعتقاد الأهالي بأنه قريب منهم في مدفنه ويشاركهم كل أمور حياتهم .[١٤٣] بينما يرى عبد العزيز صالح أنه يتطلع إلى مسكنه[١٤٤] بينما قد يؤيد الباحث الرأي بوجود صلة باتجاه النظر و الديانة الشمسية أو أرواح الموتى في شمال السماء وبداية المعتقد فيما يطلق عليه الآخرة النجمية ، والتي أوضحتها بعد ذلك متون الأهرام مشيرة إلى أن أرواح الموتى تقطن بين النجوم في السماء الشمالية[١٤٥].. والجدير بالذكر أن هناك بعض الحالات في مرمدة وجدت الجثث بها ممدة قليلا وغير منثنية بشكل كلي، وأيضا هناك بعض الجثث التي رقدت على الظهر . وقد أشار يونكر أن اغلب الدفنات التي عثر عليها كانت لأطفال ، وقد افترض أن الأهالي قد حرصوا آنذاك على دفن أبنائهم الصغار بينهم ، في الوقت الذي دفن فيه الرجال الذين كانوا يموتون في أثناء قيامهم بالصيد في مواقعهم.[١٤٦] وقد عثر في أحد القبور على جمجمة حيوانية وضعت أسفل ذراع المتوفى، ربما كقربان ..[١٤٧]

◆ وفي حضارة العمري –حلوان (أ) التي تؤرخ من ٤٢٠٠الى ٤٠٠٠ ق.م ، والتي تقع جنوب القاهرة بحوالي ٢٠ كم، على الضفة الشرقية للنيل ، كان هناك موقعان للدفن أحدهما في الشمال الشرقي والثانية في الجنوب عند وادي حوف.[١٤٨]، وكانت إما داخل المساكن أو

---

[١٤٢] انظر :Junker,H, Merimde (I-V)1929-1940,in AnzAww 66-77;Eiwanger,J.,MDAIK 43(1978)33ff;id, MDAIK 47(1982),51ff; id,LÄIV,94-96;id.,Mermede-Benisalâme,I-II-II,Archäologische Veröffentlichungen 47,51,59,1984,1988,1992; Beatrix Midant-Reynes,Op.cit,108ff;.

[١٤٣] علي رضوان ، المرجع السابق ،

[١٤٤] عبد العزيز صالح ، حضارة مصر القديمة و آثارها ، ١٩٩٢ ص. ٩٦

[١٤٥] تشرني ،الديانة المصرية القديمة ، ترجمة احمد قدري ،القاهرة ١٩٩ .،ص ٦-٧.

[١٤٦] عبد الحميد زايد ، مصر الخالدة، القاهرة ١٩٦٦، ٤٢-٤٣

[١٤٧] عبد الحميد زايد ، المرجع السابق ، ٤٣.

[١٤٨] عبد الحميد زايد ، المرجع السابق ، ٥٤؛ انظر

بجوارها مباشرة أو في مخازن الحبوب ومعظمها مغطى بأحجار جيرية . وكانت المجموعة الأولى غير منتظمة في شكلها البيضاوى ووضع المتوفى فيها على هيئة القرفصاء إما على الجانب الأيسر أو الأيمن، وكانت القرابين فقيرة ، وقد عثر في قبر شاب على كمية من القواقع وعثر على جثة طفل داخل جراب من الألياف . أما المجموعة الثانية فحفرتها بيضاوية ووضع المتوفى على هيئة القرفصاء وعلى جانبه الأيسر ووضعت الرأس تجاه الجنوب بينما تنظر إلى الغرب ، وقد لفت الجثة بالحصير أو الجلود أو الكتان ، ووضع مع المتوفى إناء واحد من الفخار ، وفي كثير من الأحيان باقات من الزهور على الصدر مثل المقبرة رقم ٦٦ب.[١٤٩]، هذا فضلا عن بقية القرابين أو الأثاث الجنائزي مثل رؤوس السهام والسكاكين . والرحى وأحجار الطحن و بقايا خشبية . ولعل أشهر مقابر حضارة العمري –حلوان هي المقبرة رقم ٣٥ أ **(لوحة ١٤ / شكل أ)**، والتي كان المتوفى فيها علي هيئة القرفصاء يحتضن عصا أو صولجاناً من الخشب طولها ٣٥ سم حولها مادة بنية الشكل بعضها كان على يد المتوفى اليمنى ، وكان خلف الرأس قطعتان من الحجر ربما استخدمتا كمسند للرأس ، وكان المتوفى ملفوفاً بالحصير[١٥٠]. وقد اتفق البلحثون على أن هذه المقبرة لابد وأنها تخص أحد الزعماء أو كبار رجالات تلك المرحلة الحضارية والذي عبر الصولجان عن نفوذه وسلطته.[١٥١]

- وينتسب إلى معتقدات الدفن لتلك المرحلة الحضارية ، وجود منطقة مرتفعة بالقرب من المدافن مهدت ووضع بها مجموعة أكوام حجرية ، يعتقد أنها منطقة لإقامة الشعائر الجنائزية .[١٥٢]

- وبالنسبة لحضارة **دير تاسا** التي تقع بأسيوط وفي إطار منطقة البداري، عند المستجدة[١٥٣] وتؤرخ من ٤٢٠٠الى ٤٠٠٠ ق.م. فقد انتسب لها لأول مرة حتى الآن إنشاء الجبانة خارج نطاق المساكن وفي موقع مستقل[١٥٤].كانت المقبرة في أغلب أحوالها عبارة عن حفرة بيضاوية الشكل ، ذات أركان ملفوفة وامتازت بوجود فجوة غائرة في جدارها الغربي وضع بها آنية صغيرة أو كبيرة .[١٥٥] وقد دفن الميت في وضع القرفصاء على جانبه الأيسر ووجهه متجه نحو الغرب وكانت الرأس عادة نحو الجنوب **(لوحة ١٤ /شكل ب)**، وفي حالات نادرة نحو الشمال .[١٥٦] بينما كفن

Debono, El Omari, A Neolithic Settlement and other Sites in the vicinity of Wadi Hof,Helwan, Mainz,1990;Hayes,JNES23(1964)242ff; Beatrix Midant-Reynes,Op.cit,118ff;.

[١٤٩] إبراهيم الشتلة ، المرجع السابق ، ٢٥

[١٥٠] شرحه.

[١٥١] على رضوان ،المرجع السابق ،

[١٥٢] عبد العزيز صالح ، المرجع السابق ، ١٠٢؛ إبراهيم رزقانة ، المرجع السابق ، ٤٣٢.

[153] **Brunton, Mostagada and the Tasian Culture, London 1937.**

[١٥٤] علي رضوان ، المرجع السابق ، ٣٢.

[١٥٥] عبد العزيز صالح ، المرجع السابق ، ١٠٨

[١٥٦] عبد الحميد زايد ، المرجع السابق ، ٥٧.

المتوفى إما بالحصير أو قماش أو جلد حيوان كل على حدة أو باثنين أو بالثلاثة معا .. وهناك بعض الحالات وضعت فيها رأس المتوفى فوق مسند من قش التبن كوسادة .[١٥٧] وقد صاحب المتوفى عدة قرابين ومتاع جنائزي مثل الأواني والقواقع والحلي والخرز وبعض الحيوانات التي عثر علي عظامها والأسماك التي عثر على شوكها وبيض نعام ورحى للطحن ، فضلا عن الصلايات الخاصة بالزينة .ومن أشهر المقابر المقبرة رقم ٤٢٦عثر بها على طفل داخل سلة مستطيلة الشكل من أغصان الشجر بينما لف في جلد حيوان وكتان ووضعت رأسه على وسادة من القش ومعه بعض الحلي وإناءان.[١٥٨] وهناك المقبرة رقم ٢٤٨٠ التى عثر بها على هيكل سيدة وبين ركبتيها طفلها الرضيع ولفت بالحصير ووضعت الرأس على وسادة ، بينما وجد عند رأسها صلاية للزينة من المرمر عليها بقايا لون اخضر وملعقة من العاج ورأس مقمعة وإناء أما الطفل فتحلى بعقد من القواقع.[١٥٩] . هذا وقد تداخلت المقابر التاسية مع المقابر البدارية و لاسيما في مرحلتها الأولى قبل استخدام النحاس ، واختلفت هذه الأخيرة بعدم وجود الكوة التي في الجدار الغربي .

- وننتقل إلى حضارة **البداري النحاسية** ، المؤرخة من ٤٠٠٠ إلى ٣٧٠٠ ق.م. والتي انتشرت سماتها في كل من المواقع المحيطة في المستجدة ، الهامية ، البداري ، قاو الكبير ، المطمر.[١٦٠] وكانت جباناتهم المستقلة في الشرق من المواقع السكنية ، و قد أخذ الاهتمام بالمقبرة في الارتقاء المتنامي فرغم استمرار المقابر على نفس الهيئة البيضاوية [١٦١]التي ظهرت قبل ذلك إلا أنها صارت أكثر تنوعاً، كما أنها تطورت و اتسعت عن سابقتها فتخلت عن الكوة الجانبية و استطال بعضها و استدار البعض الآخر ، ويلاحظ في بناء هذه المقابر البدارية الرغبة في حماية الجثة من انهيار الرمل عليها، حيث إن الجدران أصبحت تميل إلى الداخل كلما اتجهت إلى أسفل خوفاً من انهيار المقبرة التي حفرت في الرمال والحصباء كما حاولوا تبطين الجدران بقطع من الحصير مثبتة بحصى غرست في أرضية الحفرة ، بالإضافة إلى هذا فقد عثر في أرضية بعض المقابر البدارية على ثقوب تحوي بقايا خشبية و عصى متفرقة وقطع كبيرة من الحصير وأغصان متشابكة ربما كانت بقايا للوحة كان يوسد فوقها المتوفى .[١٦٢] وقد دفن المتوفى على هيئة القرفصاء ولكن لوحظ ندرة مساس الركبتين بالذقن ، ووضعت اليدان عادة أمام الوجه أو بالقرب منه ، ووضعت الرأس على جزء مرتفع من الأرض . وغالبا ما كان المتوفى يوسد على جانبه الأيسر ويتجه بوجهه بصفة عامة نحو الغرب (عالم أو مملكة الأموات) (**لوحة**

---

[157] **Brunton, Op.cit.,**

[158] **Brunton, Op.cit.,Pl.VI:5**

[159] **Brunton, Op.cit., Pl.XII:46,XIII:16-19**

[160] **Brunton & Caton Thompson, The Badarian Civilisation, 1929; Beatrix Midant-Reynes,Op.cit,147ff;D.Holmes,The Badari Region Revisited, Nyame Akuma 31,(1989),15ff**

[١٦١] **جيفرى سبنسر ، المرجع السابق ، ٢٨**

[١٦٢] **عبد العزيز صالح ، المرجع السابق ، ١١٧**

١٥ / شكل أ) ، وإن كانت هناك حالات خالفت تلك القاعدة ، وكان المتوفى يلف أولا بجلد الحيوان وفوقه الكتان ، وكانت معظم مقابر البداري شخصية وليست عائلية كما كان عليه الحال في دير تاسا ، ولوحظ أن هناك قسماً خاصاً للرجال والأطفال ولم يخصص قسم للسيدات، وفي كل مكان لمقبرة سيدة كان لابد أن تلحق بمقبرة رجل .[١٦٣] وقد صاحب المتوفى الأواني الفخارية ، و الحلي وأدوات الزينة، وأوان حجرية وملاعق من العاج ، وأسلحة حجرية ؛ وعصا الصيد أو الرماية ، هذا فضلا عن التماثيل الطينية والعاجية التي ترمز إلى الإلهة الأم ، التي تساعد المتوفى على إعادة الولادة والبعث .[١٦٤] وفي إحدى مقابر البدارى وهي المقبرة رقم ٥٧٦٦ عثر على جثة لم يعبث بها بينما الرأس غير موجودة ووضعت مكانها آنية فخارية.[١٦٥]

- والجدير بالذكر أن بعض وجوه الموتى في البداري اتجهت ناحية الشرق -مثلما كان في مرمدة- مما يشير كما أسلفنا إلى عبادة الشمس و استقبال شروقها . وربما يعزز ذلك طبق فخار يرجع إلى الحضارة التى تلت البداري وهي نقادة الأولى، رسمت عليه شمس المشرق وشمس المغرب في بساطة و واقعية (**لوحة ١٥ / شكل ب**)[١٦٦]. يدعم ذلك أن بعض ألوية المراكب من نقادة الثانية التى قد ظهرت عليها علامة معبود الشمس[١٦٧]. كما عثر على بعض نماذج لمراكب بالمقابر التى تعود أيضا للحضارة النقادية ، وإن كانت قد تحمل معنى جنائزياً لتنقل المتوفى إلي العالم الآخر بجانب المفهوم العقائدي الشمسي.[١٦٨]
- هذا ومنذ نقادة الأولى تم العثور على نماذج لمراكب في المقابر ربما تشير إلى معرفة بالإله رع ومركبه و بأنهم يلتمسون أن ينتقلوا معه في موكبه حين ينزل إلى العالم السفلي في الغرب و حين يشرق من الشرق.[١٦٩]
- و في حضارة البداري كشف أيضا عن بعض الجثث وقد لونت وجوهها بلون أخضر مما قد يشير إلى رغبة المتوفى في تجدد الحياة والميلاد في العالم الآخر من خلال البعث مرة أخرى.[١٧٠]
- وقد ارتبط بحضارة البداري بداية ما يطلق عليه جبانات الحيوانات المقدسة والتي ترمز إلى معبودات بعينها ، حيث كفنت أجسادهم مثل البشر ، ومنها الأبقار والماعز والكلاب والكباش .[١٧١]

---

[١٦٣] عبد الحميد زايد ، المرجع السابق ، ٦٩.

[١٦٤] أحمد سعيد ، "نشأة الديانة ما بين الترحال والاستقرار" ، مجلد مؤتمر التراث والحضارة الخامس عشر لليونسكو المنعقد في سوريا في مارس ٢٠٠٠، ص ١١٧ وما بعدها.

[165] Brunton, Op.cit.,p.30

[١٦٦] انظر Ahmed Saied, Götterglauben und Gottheiten in der Vorgeschichte und Frühzeit Ägyptens, Cairo 1997 ,35,Taf.35 Abb.1
(رسالة دكتوراه غير منشورة /كلية الآثار جامعة القاهرة.)

[167] W.Petrie, Prehistoric Egypt, London 1920,19

[168] cf.E.Brunner-Traut,"Der Altägyptische Totenboote und vorgeschichtliche Bestatunggsgefässe"RdE 27(1975)39ff;

[١٦٩] انظر G.Dreyer,LAV'622; W.Seipel.Agypten,1989,43-44;Ahmed Saied,Op.cit,336

[١٧٠] علي رضوان ، المرجع السابق ، ٦٤.

- ونبدأ الآن مع الحضارات المنتشرة أو الحضارات النقادية [١٧٢] و التي أطلق عليها بترى سلفا حضارات العمرة [١٧٣] وجرزة [١٧٤] وسماينة [١٧٥]، وأرخ لها طبقا لما أسماه بالتاريخ المتتابع بعد حفائره التى أسفرت عن ٩٠٠ مقبرة في منطقتي نقادة وبلاص ، والمعتمد على دراسة أنواع الفخار وأشكاله وزخارفه المتعددة ووقت ظهور البعض منه واختفاء البعض الآخر .غير أن هذا الأسلوب في التاريخ قد عارضه الكثير من الباحثين ، واتفق معظم العلماء الآن على تقسيم كيزر لتلك الفترة والذي اقترحه في عام ١٩٥٧ واستمر يعضده ويضيف عليه في مقالاته طوال الأربعين سنة الأخيرة ، وذلك بعد دراسته في البداية على حوالي من ١٤٠٠ الى ١٥٠٠ مقبرة بمنطقة ارمنت والمكتشفة عام ١٩٣٧ ومقارنتها بمواقع حضارية أخرى في الشمال والجنوب .

- وقسم كايزر المرحلة النقادية إلى أطوار ثلاثة أطلق عليها على التوالي نقادة الأولى فالثانية ثم الثالثة ، وكذا قام بتقسيمات داخلية أو فرعية لتلك الحضارات مثل نقادة الأولى (A,B,C) ، ونقادة الثانية (A,B,C,D1,D2) ، ونقادة الثالثة(A1,A2,B,C,D) [١٧٦] . وقد اعتمد كايزر في تقسيمه أو تأريخه على معظم المعطيات الحضارية وتتابع الطبقات الأثرية لتلك المراحل ، والتوزيع

---

[١٧١] انظر ، H.Berhrenss,ZÄS 88,(1963) 75ff ،عثر على جبانات لحيوانات مقدسة في أكثر من موقع من مواقع ما قبل التاريخ مثل جبانة الأبقار في الكوم الأحمر /هيراكونبوليس ، جبانة الغزلان في هليوبوليس والأسماك في حلوان وغيرها ، انظر Kessler,LÄVI,574;Ahmed Said,Op.cit.22

[١٧٢] نسبت كلمة نقادية إلى بلدة نقادة التي تقع في مدرية قنا بجوار قرى البلاص والأبعادية ، وكانت الجبانة النقادية تتبع إحدى المراكز الحضارية والدينية الهامة في مصر العليا ، والتي أطلق عليها المصري "نوبت" / والإغريق "أمبوس"، ومعبودها الرئيسي منذ نقادة الأولى على الأقل هو المعبود ست . وتقوم على أطلالها حاليا بلدة طوخ على الضفة الغربية للنيل انظر W.Helck, LÄIV,344ff.

[١٧٣] تقع هذه المنطقة بسوهاج ، جنوب شرق جبانة ملوك العصر العتيق ،غرب النيل .

[١٧٤] تقع هذه المنطقة التى تمثل الجبانة ، شرق مدخل الفيوم من ناحية النيل ،٥ كم شمال شرق هرم ميدوم، F.Gomaa, LÄII,556.

[١٧٥] غرب مدينة قنا .

[١٧٦] عن التاريخ المتتابع واعتراض العلماء عليه ، وكذا عن تقسيم كيزر وبعض الاعتراضات عليه أيضا انظر ما يلي :

W.F.Petri,Prehistoric Egypt, p 3ff.,44 ff.; id, Making of Egypt, 9ff;id and J.E. Quibell, Naqada and Ballas,London, 1886 A.Scharff, Abusir el Meleq, 70ff ;id,Grundzüg der ägypt. Vorgeschichte, Leipizig,1927,29 ff. V.kaiser, Zur inneren Chronologie der Naqadakultur", AG 5/6 (1956/57), 69-77 .;id,,Einige Bemerkungen zur ägyptichen Frühzeit" ZÄS 85 (1960), 118-137 ;id," Stand und Probleme der ägyptischen Vorgeschichtesforschung", ZÄS 81 (1956), 87-409 .;id, Zum Friedhof der Naqadakultur von Minshat Abu Omar", ASAE 71 (1987), 119-125 .; Fekri A.Hasssan, "The Predynastic of Egypt",Journal of World Prehistory,Vol.2No.2(1988)153ff. . Beatrix Midant-

المعطيات الحضارية وتتابع الطبقات الأثرية لتلك المراحل ، والتوزيع الجغرافي للجبانات ومحتويات المقابر ، ولم يعتمد على عنصر واحد فقط كما اعتمد بترى على الفخار .

- استمر التطوير و الاهتمام بالمقبرة خلال تلك الفترة النقادية بمراحلها الثلاث، إلى أن أدى ذلك إلى تحويل المقبرة أوجزء منها إلى حجرة تسقف بقوالب من اللبن و الألواح الخشبية أو البوص يغطى سطحها العلوي بالطين(لوحة ١٥/شكل ج) أما عن الأمتعة أو الأثاث الجنائزي المصاحب للمتوفى فقد استمر وازداد ، بل وظهرت أنواع وأشكال جديدة في الفخار مثلا فضلا عن رسوماته وزخرفته[١٧٧] وتطورت أشكال ووظائف الصلايات ونقشت سطوحها[١٧٨] وغير ذلك من صناعات حجرية ومعدنية نحاسية وحلي وأدوات زينة ومنحوتات آدمية وحيوانية الخ . وكانت الجبانات عادة خلال الفترات النقادية تقع جنوب المحلات السكنية ، بينما كانت فيما قبل قد تقع في الشرق .[١٧٩]
- هذا وقد ساعدتنا دراسة جبانات تلك الفترة ومحتويات مقابرها ، في التعرف على بعض سمات الحياة الاجتماعية والفوارق بين الطبقات ، وكذا الحياة الاقتصادية والتجارية ، فضلا بطبيعة الحال عن المعتقدات الدينية .
- أولا حضارة **نقادة الأولى** ٠من ٣٩٠٠الى ٣٦٠٠ ق.م ، والتي انتشرت سماتها من البداري وحتى الجندل الأول في الجنوب في كل من العمرة جنوب شرق ابيدوس ، والمحاسنة ، و"هو" أو ديوسبوليس- بارفا قرب دندرة ، وأرمنت وغيرها . وقد كانت مقابرهم عبارة عن حفرة بيضاوية أو دائرية أو شبه مستطيلة **(لوحة ١٦/شكل أ)** ، حوى بعضها مشكاوات . وضع فيها المتوفى علي هيئة القرفصاء على الجانب الأيسر والوجه للغرب وتتجه الرأس للجنوب ،[١٨٠] وكان يكفن بجلد الماعز الذي تتشابك أطرافه بدبوس نحاسي . وفي بعض المقابر مثل الدفنة رقم (١٤٨١) في أرمنت عثر على بقايا تابوت خشبي ، مثل المقبرة رقم (٢٣ هـ) بالمحاسنة [١٨١] ، وفي بعض المقابر في العمرة وضع المتوفى في تابوت من الفخار **(لوحة ١٦ / شكل ب)** . وقد زودت المقابر بالفخار الذي زخرف بالأشكال النباتية والحيوانية والآدمية ، والحلي ، والصلايات التي تطورت أشكالها لهيئات حيوانية مقدسة ، وتماثيل الإلهة الأم .[١٨٢] وقد وجدت بعض المقابر التي تحتوي على أكثر من جثة كمقابر عائلية . وكذا بعض المقابر التي

Reynes,Op.cit,164ff.;S.Handrickx, "The Relative chronology of the Naqada culture : Problems and Possibilities" in Aspects of Early Egypt, London 1996 , 36 ff.

[١٧٧] جيفرى سبنسر ، المرجع السابق ، ٣٤ ؛ انظر،

Saleh, Janine Monnet ,"Les représentations de temples sur plates – formes à Pieux, de la poterie Gerzéene d'Égypte", BIFAO 83 (1983), 263-296; .

[١٧٨] انظر ، K. M. Cialowicz,Les Palettes Égyptiennes aux Motifes Zoomorphes et sans décoration : edutes de l'art prédynastique, Kraków, 1991

[١٧٩] علي رضوان ، المرجع السابق ، ٤٣

[180]Randall-Maciver and Macke, El Amrah ,London, 1902;6ff;

[181]E.R.Ayrton, and W.L.S.Loat, Predynastic cemetery at El-Mahasna,London,1911,21

عثر بهذه المقبرة على جثتين لكلبين تم تكفينهما بالحصير .

[١٨٢] عن الإلهة الأم انظر ؛ P.J.Ucko, Anthropomorphic Figurines, London, 1968 ; W.Helck, Großen Göttin, München, 1971;Ahmed Saied, Op.cit.,260ff

المقابر التي تحتوي على أكثر من جثة كمقابر عائلية . وكذا بعض المقابر التي عثر على الهياكل العظمية بها مفككة ووضعت في غير نظام ، ربما عن قصد أو غير قصد ، كما لوحظ غياب الرأس بشكل نادر عن بعض الجثث بينما استبدلت بقدر أو بيضة نعام [١٨٣]

- وقد فسر عبد العزيز صالح مسألة تفكيك العظام -إذا كان تفكيكاً مقصوداً فعلا- باستخدام المقبرة لأكثر من مرة واحدة ، واضطرار أصحابها إلى تكويم عظام المتوفى القديم حيث اتفق ، بحيث تشغل أقل حيز ممكن، أو ربما نهبت المقبرة و بعثرت عظام أصحابها خلال البحث عن الحلية التي لبسها أو وضعها أهله معه في الحصير الذي غطوه به، وربما يرجع ذلك إلى اعتداء وحوش الصحراء على الجثة حين تجتذبها رائحتها عقب دفنها .[١٨٤]

- بينما يرى البعض أن فصل عظام الموتى كان يحدث أحياناً عن قصد قبل الدفن، نتيجة لعادة قديمة من عادات أكلة لحوم البشر Cannibalism على حد قولهم أو باعتباره شعيرة من الشعائر الدينية ، وهو ما لا يوجد ما يثبته من أدلة[١٨٥] . وقد ربط أصحاب هذا الرأي بين رأيهم و بين مجموعتين من متون الأهرام ، مجموعة زعمت أن الملك المتوفى يقتات في أخراه على أجساد أسلافه و أربابه و يستخدم عظامهم في إيقاد ناره [١٨٦] و أخرى كانت تتمنى للمتوفى أن تكتمل له عظامه وتتصل رأسه بجسده فتقول له أنهض و خذ رأسك و ضم إليك عظامك و تؤكد له أن الربة نوت ربة السماء سوف تعينه على ذلك و تثبت له رأسه و تجمع له عظامه و تضم إليه أعضاءه و تعيد قلبه إلى بدنه.[١٨٧]

ويرى عبد العزيز صالح أنه لا يسهل تفسير فصل العظام و الأعضاء عن قصد، إن صح القصد فعلاً في أيام نقادة الأولى تفسيراً مرضياً، و لكن ذلك لا يحول دون استبعاد فكرة عادة أكل لحوم البشر عن آفاق المصريين و هم من حرصوا الحرص كله على رعاية موتاهم منذ أوائل عصرهم النيوليتي على أقل تقدير و ذلك مع ملاحظة أنهم لم يحرموا الموتى الذين فصلوا أعضاءهم و عظامهم من متاعهم الأخر و المعتاد ، و دلوا بذلك على رضاهم بأن تتوفر لهم حياة أخرى يطعمون فيها و يشربون و يستمتعون فيها استمتاعاً غير منقوص.[١٨٨]

- وأخيرا نشير إلى ملاحظة كل من Maciver and Marce بوجود مادة سوداء تشبه القار فوق عظام بعض الموتى في مقابر العمرة مثل المقبرة رقم (ب٣٢)، ولا يستبعد أن تدل هذه المادة على إحدى وسائل أهل عصرها لحفظ جثث موتاهم.

أشرف زكريا ،تماثيل ورموز الأمومة في مصر وبلاد الشرق الأدنى القديم في عصور ما قبل التاريخ ،رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية الآثار -جامعة القاهرة ،١٩٩١

[183] W.Pertrie and Quibell,Op.cit.,28

[١٨٤] عبد العزيز صالح المرجع السابق ، ١٤٨

[185] U.Köhler,LÄIII,314-15.

[186] Pyr.278,393ff.,407,444; W.Helck, LÄIII.313-314

[187] Pyr.735,835

[١٨٨] عبد العزيز صالح المرجع السابق ، ١٤٩ ، قارن جيفري سبنسر ، مصر في فجر التاريخ ، ترجمة عكاشة الدالي ، القاهرة ١٩٩٩ ، ٥٧.

- ثانيا حضارة **نقادة الثانية** ، المؤرخة من ٣٦٠٠ الى ٣٤٠٠ ق.م ، وقد ازداد انتشار هذه الحضارة أكثر من المرحلة الأولي ، واستمرت في نفس المواقع السابقة مثل المحاسنة و الحرجة و "أبو صير الملق" ومنطقة العبيدية.٠ وغيرها ووصلت في الجنوب حتى ابوسمبل ووادي السبوع وعمدا وعنيبة ، وفي الشمال حتى أبو صير الملق وجرزة و طرخان وهليوبوليس والمعادى [١٨٩]
- وقد تنوعت أساليب بناية المقابر مثلما تنوعت أساليب المنازل ، ففي الوقت الذي استمرت فيه المقابر البسيطة البيضاوية والمستطيلة وزاد عليها المقابر الدائرية ، اتخذت المقابر الأشكال المستطيلة التي سويت جدرانها وحددت جوانبها [١٩٠] وانخفضت الأرض قليلا التي عليها الجثة ، بينما رصت الأواني والقرابين في الجزء الأعلى الذي ظهر كأنه رف عريض (**لوحة ١٧ / شكل أ**) ، وحفرت كوات صغيرة في أحد جوانب المقبرة لوضع الأواني ، وكسيت الجدران بطمي سميك وفي بعض الأحيان بالطمي ثم البوص و الحصير وأيضا تكسيتها بألواح خشبية خشنة ، ثم تطور ذلك لتحديد الجوانب بقوالب الطوب اللبن وأدى ذلك إلى تحويل الحفرة إلى حجرة والتي سقفت بعد ذلك . وكان المتوفى الذي غالبا ما يلف بالجلد أو الكتان أو الحصير يوضع في تابوت من الصلصال والفخار أو الخشب ، ويتخذ هيئة القرفصاء وإن لم تكن انحناءة الجسد واحدة في كل الحالات ، حتى أن بعضها ظهر كأنه ممدد.
- كان المتوفى يكفن فيها بكتان بسيط و يوسد على حصير و يغطى بآخر، وخصصوا أكبر حيز في المقبرة للجثة وميزوا بين موضعها وموضع المتاع الموضوع معها بقدر الإمكان. وظهرت بعض التوابيت المجدولة من السلال كما في جبانة أرمنت.
- وكانت المقابر مخصصة في أغلب الأحيان لمتوفى واحد ونادرا جدا ما وجدت عظام مفككة . وفي بعض المقابر عثر علي جماجم الموتى ممتلئة بالرمال كما في منطقة جرزة.[١٩١] وكانت اتجاهات المتوفى مثل نقادة الأولى إلا أن هناك بعض الاستثناءات . وقد صاحب المتوفى نفس أنواع المتاع الجنائزي وإن ازدادت وتنوعت الأواني الفخارية والتي زخرفت برسومات المراكب ذات المجاديف وألوية المعبودات وما حول المراكب من رسومات آدمية وحيوانية ونباتية الخ[١٩٢] والتي يمكن مقارنتها بالنقوش الصخرية آنذاك [١٩٣] وقد ظهر على بعض الصلايات صور رموز المعبودات كحتحور ونيت ومين وست.[١٩٤]، كما تنوعت أدوات الزينة ، و وقد عثر في بعض

---

[189] **Beatrix Midant-Reynes,Op.cit.,178;W.Davis, "Artists and Patrons in Predynastic and Early Dynastic Egypt", SAK10(1983)119ff;cf.H.Kantor,"the Final Phase of Predynastic Culture:Gerzean or Semainean " JNES 3,(1944)110 ff.;**

[١٩٠] **جيفري سبنسر ، المرجع السابق ، ٤٤-٤٥٤**

[١٩١] **ابراهيم الشتلة ،المرجع السابق ، ٤٣**

[192] **J.Monnet Saleh, Op.cit. 263 ff.,**

[١٩٣] **انظر ، لمياء الحديدي ، دراسة مقارنة بين النقوش الصخرية في مصر والنوبة السفلي ورسوم الفخار في المرحلة النقادية ، رسالة ماجستير غير منقوشة كلية الآثار جامعة القاهرة ٢٠٠٠.**

[194] **Ahmed Saied,Op.cit, 123,194,283,**

المقابر على تمائم ورموز بعض المعبودات ، مثل المقبرة رقم (٦٦) بـــهيراكونبوليس وهي مقبرة لطفل و التى كشف عنها "جارستنج" وتؤرخ بنقادة الثانية (D2) ، عـــثر بها على مشط عاجي مزين بحورس الصقر وغيرها [١٩٥] .

- هذا وفي أحد مقابر المحاسنة عثر على نموذج فخاري لمنزل أوضح لنا الكثير عـــن هيئات المنازل في تلك الفترة.[١٩٦] .هذا فضلا عن المنحوتـــات الآدميـــة الأنثويـــة ذات النماذج والأشكال المختلفة والتي تعبر عن الإلهة الأم. كما عثر على نماذج القـــوارب في بعض المقابر .
- ولنهاية عصر نقادة الثانية وبداية الثالثـــة ترجـــع المقـــبرة الشـــهيرة ، رقـــم ١٠٠ بهيراكونبوليس / نخن — الكوم الأحمر ، المكتشفة سنة ١٨٩٩ والتي تعرف بـــالمقبرة المرسومة أو مقبرة الزعيم حيث كانت تخص شخصا كبيرا ذا مكانة عالية بل وربما أحد الحكام المحليين ، ويمكن اعتباره الجد الأكبر لزعماء الأسرة صفر . وقد بنيـــت المقبرة وكسيت بالطوب وقسمت بحائط (قاطع) (**لوحة ١٧ /شكل ب**) ، وظهر ضمن نقوشها لأول مرة حتى الآن منظر قمع الأعداء ومنظر كبح جمـــاح حيوانيـــن متصارعين فضلا عن بقية المناظر الهامة (**لوحة ١٨ / شكل أ**)، هذا بالإضافـــة إلى بقايا الأثاث الجنائزي الذي عثر عليه بتلك المقبرة [١٩٧] والجدير بالذكر أن هنـــاك بعض المقابر الكبيرة والتي قارنها المتخصصون بمقبرة الزعيم حيث إنـــها ترجـــع لنفس الفترة النقادية وعثر بها على أثاث جنائزي مشابه مثل الأواني الفخارية ولكنـــها غير منقوشة ، وهي المقابر أرقام J5 و٤١٤و٤١٢ فـــي نقـــادة، و ١٥٢٣و ١٥٥٠ في أرمنت ، و٥١١٨ في بلدة المطمر . [١٩٨] .

- ونشير هنا إلى أهل المعادي [١٩٩] الذين لم يقتصروا على دفن موتاهم فـــي الجبانـــة المخصصة لهم في الجهة الجنوبية الشرقية من الموقع، إنما دفنوا بعضـــهم و خاصـــة الأجنة و صغار السن في منطقة السكن حيث كشفت أعمال الحفائر عن ٦٤ دفنة منـــها ٥٤ حالة لأجنة و أطفال صغار السن، و هذا يدل على اهتمام أهـــل المعـــادي بدفـــن صغارهم داخل منطقة السكن في جرار فخارية كبيرة و في الغالب كـــان لا يوضـــع معهم أدوات جنائزية (**لوحة ١٨ /شكل ب**) ، أما بالنسبة لدفنات الكبار فقد وجدت منها مقبرتان، الأولى عثر عليها في الموسم السادس و وجدت في حالة ســـيئة للغايـــة

---

[١٩٥] راجع ،Ibid.2

[196] **Randall-Maciver and Macke, Op.cit, 1—2,Pl.X.**

JC Payene, "Tomb 100 the Decorated Tomb at Hierakonpolois " JEA48(1962)5ff; id, "Tomb 100 the Decorated Tomb at Hierakonpolois confirmed " JEA59(1973)31ff;.Kemp.," Photographs of the Decorated Tomb at Hierakonpolois " JEA 59 (1973) 93 ;

[١٩٨] انظر JC Payene,Op.cit,10

[199] **I.Rizkana u. J.Seeher, Maadi I,II,III,IV,in DAIK , 1987-1990; J.Seeher, "Burial Customs in Predynastic Egypt : A View from the Delta" in E.C.M.van Den Brink,the Nile Delta in Transition.4th to5rd Millennium B.C.,1992.225ff.**

حيث لم توجد الرأس و الذراعان، و على الصدر وجدت عظام الساقين، و أهم ما يمكن ملاحظته أن الجثة ترقد على الظهر و هذه الظاهرة لم توجد، كما سنرى فيما بعد إلا في حالتين في مقابر الجبانة، أما المقبرة الثانية فقد عثر عليها في الموسم السابع وهي عبارة عن هيكل عظمي لامرأة عمرها فيما بين ٢٠-٤٠ عاماً.

و كانت المقبرة عبارة عن حفرة بيضاوية الشكل يتراوح طولها فيما بين ٧٠-١٥٠سم و عرضها فيما بين ٦٠-١٣٠سم و المقابر التي خصصت للأطفال جاءت أحجامها أقل من ذلك ، و وجدت على عمق تراوح فيما بين ٥٠-١٠٠سم عن سطح التربة الأصلية و هذا راجع بطبيعة الحال إلى الرواسب التي تخلفت عن سيول الهضبة الشرقية. و بالإضافة إلى ذلك فإنه لم توجد مقابر استخدمت فيها أية مواد بناء في المعادي سوى مقابر قليلة .

- أما عن اتجاه الجثة فإن الدراسة التي قدمها رزقانة وزيهر أشارت إلى أن هناك٤٧ مقبرة وجدت في حالة يمكن معرفة اتجاه الجثة فيها ، بينما أن عدد الحالات التي وجدت الجثة فيها موضوعة على الجانب الأيمن بلغت٢٣ حالة، و على الجانب الأيسر بلغت ٢٢ حالة، و حالتان موضوعتان على الظهر، و هذا يشير إلى أنه ليس هناك فرق عند أهل المعادي بين وضع الجثة على الجانب الأيمن أو الأيسر، و نرى أن أهل المعادي كانوا في الغالب يضعون الرأس في الجهة الجنوبية حيث وجد أن مجموع هذه الحالات ١٩ حالة، ٨ من الحالات التي وضعت فيها الجثة على الجانب الأيمن و ١١ من الحالات التي وضعت فيها الجثة على الجانب الأيسر. و يلي هذه الجهة الجهات الشمالية و الشمالية الشرقية و الجنوبية الشرقية على التساوي.

- كما تبين أن أهل المعادي كانوا يفضلون اتجاه الوجه إلى الجهة الشرقية ربما تجاه شروق الشمس أو إلى حينما تنتهي الحياة الأولى بإشراقة جديدة للحياة الثانية، حيث وجد أن نصف الحالات التي وضعت فيها الجثة على الجانب الأيمن يتجه الوجه فيها إلى الشرق وفي باقي الحالات يتجه إلى الشمال الشرقي أو الشمال و أن في معظم الحالات التي وجدت الجثة فيها على الجانب الأيسر يتجه الوجه فيها إلى الشمال الشرقي و باقي الحالات إلى الشمال.
- وفي منطقة العضايمة عثر على دفنات في وضع القرفصاء داخل آبار يصل عمقها تقريبا إلى متر ، كما كشف عن دفنات لأطفال في توابيت طينية وأسفل جرار فخارية ضخمة ، وقد عثر على دفنات بدون رأس (**لوحة ١٩ / شكل أ**)[٢٠٠]

---

[٢٠٠] **تقع العضايمة جنوب مدينة أسنا ، غرب النيل . اكتشف جبانتها كل من العالمين دى مورجان وديبونو، واستكملت الحفائر بواسطة البعثة الفرنسية برئاسة Beatrix Midant-Reynes, منذ عام ١٩٨٩ . وتؤرخ جبانتها بنهاية نقادة الثانية ونقادة الثالثة.**

De Morgan," Report on Excavation made in upper Egypt during the Winter 1907-1908" ASAE,12 (1912)27; F.Dbono, "Recherches préhistoriques dans la région d'Esna" BIFAO 69 (1971)145ff; B.Midant-Reynes,N.Buchez,and other,"Le site prédynastique d'Adaima.Rap.prél.de la camp.de fouilles 1989",BIFAO 90(1990),247ff; B. Midant-Reynes, "Le site prédynastique d'Adaima.Rapport préliminaire de la deuxième campagne de fouilles ,1990"BIFAO91(1991)131ff; . Midant-Reynes, and other "Le site prédynastique d'Adaima.Rapport préliminaire de la quatrième campagne de fouilles BIFAO93(1993)349ff; Midant-Reynes, and other "Le site prédynastique d'Adaima.Le secteur d'habitat.Rapport de la

- ثالثا حضارة **نقادة الثالثة** والمؤرخة من ٣٢٠٠الى ٣١٠٠ ق.م ، والتي تغلغلت سماتها وانتشرت في معظم أرجاء مصر تمهيدا للوحدة السياسية التي سعى من أجلها زعماء الأسرة صفر (٣١٠٠الى ٣٠٠٠ ق.م) بعد التوحد الحضاري ،[٢٠١]
- ومن أهم مراكزها السماينة [٢٠٢]و نقادة ،و هيراكونبوليس [٢٠٣]، أبيدوس/أم ألجعاب ، نجع الدير [٢٠٤]، أرمنت ، والعضايمة ، طرخان ، به/ بوتو –تل الفراعين [٢٠٥]، وتل

---

neuvième campagane de fouilles " in BIFAO98(1998)263ff;id, "the Predynastic Site of Adaima : Settlement and Cemetery Aspects of Early Egypt, London 1996 93 ff.

[201]Beatrix Midant-Reynes,Op.cit , 216ff

[202]F.Petrie, The Making of Egypt, London 1939

[203]M.Hoffman, "Preliminary Report on the First Tow Seasons at Hierakonpolois,Part III,Occupational Features at the Kom el Ahmer"JARSE IX ,1971-1972 ,35ff ;

id, The Predynastic of Hierakonpolois,USA, 1982

تعتبر بلدة نخن (هيراكونبوليس) ، ١٧ كم شمال غرب إدفو شر ق النيل ، أحد المواقع والمراكز الهامة بالصعيد والتي تميزت وتقدمت حضاريا منذ نهاية نقادة الثانية ، حيث تحولت من مستوطنة منخفضة الكثافة إلى مدينة ذات كثافة سكانية عالية تحيط بها أسوار مبنية من الطوب اللبن .هذا فضلا عن أنها كانت مقر أحد أشكال العبادة الصقرية وهو عبادة حورس نخن الذي خرج باسمه ملوك الأسرة صفر من تلك المدينة وتابعوا كفاحهم نحو توحيد مصر .

وفي مقابل هيراكونبوليس كانت هناك مدينة تمثل أيضا أحد أكبر المواقع في الصعيد في فترة نقادة الثالثة، هي نوبت /امبوس ، نقادة الحالية الواقعة على بعد ٢٦ كم شمال الأقصر،على البر الغربي للنيل ، ومنشأ عبادة الإله ست ،الذي ظهر رمزه الحيواني الخرافي منذ عصر نقادة-الأولي .ولعل ثالث مدينة كانت لها نفس الأهمية والمكانة في فترة نقادة الثالثة هي مدينة أبيدوس بسوهاج /العرابة المدفونة وإلهها "خنتي امنتيو" إله العالم الآخر آنذاك والتي ارتبطت بعد ذلك بمدافن ملوك الأسرتين الأولى والثانية في موقع أم الجعاب .

K.A.Bard, 'the GEOGRAPH OF Excavated Predynastic Sites and the Rise of Complex Society" JARCE XXIV (1987) 81ff.

cf.W.Kaiser, "zur vorgeschichtlichen Bedeutung von Hierakonpolois" MDAIK 16(1958)183ff.; M.A.Hoffman,The Predynastic of Hierakonpolois ,1982 ; B.Adams ,Ancient Hierakonpolois,Warminster,1974; id, Anicent Nekhen , Garstang in the city of Hierakoneolis , in ESAP 3 1995 ; F.Petrie and J.E. Quibell,Op.cit;W.Kaieser,"Bericht ûber eine= =archäologische-geologische Felduntersuchung in ober-und Mittelägypten" MDAIK 17(1961)14ff;W.Davis ,"Cemetery T at Nagada",MDAIK 39(1983)17ff;

[204]Albert M.Lythgoe and D.Dunham,The Predynastic Cemetery N7000 Naga-el-Der,1965;

[205]Th.von der Way, " Tell el-Fara´in-Buto" MDAIK 42-45,(1986-1989);id,Untersuchungen zur =Spätvor-und Frühgeschichte Unterägyptens,SAGA 8(1993).

= كانت بوتو من أهم المراكز ذات الإشعاع الحضاري في الدلتا فيما قبل الأسرات ، وكانت مقرا لعبادة الإلهة "وادجيت" ، التى عبدت بعد ذلك كإلهة لمصر السفلي وعثر على اقدم تميمة تمثلها في

اسود ،[٢٠٦] المعادى، منشأة "أبو عمر"[٢٠٧]، ووصلت إلى سيناء و"عين باسور" جنوب فلسطين..

- وهناك الآن مواقع جديدة مكتشفة بالدلتا مثل منشأة عزت[٢٠٨] ، تل سمارة شرق الدلتا ، تل السمرة /دقهلية[٢٠٩]، كفور نجم[٢١٠] ، تل فرخه / غزالة [٢١١] ، تل إبراهيم عوض [٢١٢]، تل المشاعل[٢١٣] ، تل حسن داوود ، وكذا في "أبو صير" [٢١٤].

هيئة حية الكوبرا ، في نفس المدينة وترجع إلى فترة نقادة الثالثة ، انظر Ahmed Saied ,Op.cit, 205. ودلت سمات منطقة بوتو الحضارية على تقارب بينها وبين حضارة المعادي وحلوان وهليوبوليس .

[٢٠٦] تقع هذه المنطقة على بعد ١٤ كم شمال غرب فقوس

Edwin C.M.van den Brink,A Transitional Late Predynastic-Early Dynastic Settlement Site in the Northeastern Nile Delta,Egypt,MDAIK45(1989)55ff.

[207] K.Kroeper u. D. Wildung , Minshat Abu Omar / Münchner Ostdelta-Expedition,Vorbericht 1978-1984, München 1985;K.Kroeper, " Minshat Abu Omar –Burials with palettes" in Aspects of Early Egypt, London 1996 70 ff.

تقع منشاة "أبو عمر" شمال شرق فاقوس محافظة الشرقية ، وقد عثر بها على آثار تؤرخ من نهاية نقادة الثانية وحتى العصر العتيق ، ومارا بالأسرة صفر .واحتوت جبانتها على دفنات تمثل المرحلة الحضارية لنقادة الثالثة بتخطيطها ومخازنها وتغطية سقفها .

[٢٠٨] تقع منشآة عزت على بعد ٢٠ كم جنوب شرق السنبلاوين- الدقهلية ، وقد بدأ الحفر بها عام ١٩٩٨ بواسطة بعثة المجلس الأعلى للآثار -منطقة آثار الدقهلية ودمياط بالمنصورة وقد كشف بها عن منطقة سكنية وجبانة قد ترجع إلى نهاية نقادة الثانية وتستمر حتى العصر العتيق

مارا بنقادة الثالثة.

[٢٠٩] يقع هذا الموقع بالقرب من السنبلاوين -دقهلية مركز تمى الأمديد ويطلق عليه أيضاً تل سمارة ، وتقوم بالحفر به بعثة المجلس الأعلى للآثار منذ عام ١٩٩٩، وقد كشف به عن جبانة ترجع إلى ما قبل الأسرات والعصر العتيق تشتمل علي حوالي ٤٥ مقبرة .

[٢١٠] تقع منطقة كفور نجم بعزبة التل ، ٥كم جنوب غرب كفر صقر بالإبراهيمية بالزقازيق ، وقد قامت بالحفر بها بعثة جامعة الزقازيق ، برئاسة أ.د محمد ابراهيم بكر وقد استمر الحفر هناك لمدة أربع مواسم حتى الآن عام ١٩٨٤، ١٩٨٥، ١٩٨٨، ١٩٩٠ ، وقد كشف هناك عن جبانة تعود إلى ما قبل الأسرات والعصر العتيق ، ولاسيما نقادة الثالثة والأسرة صفر . انظر

Mohamed I.Bakr, "The New Excavations at Ezbet el-Tell,Kufur Nigm the First Season 1984",, in E.C.M.van Den Brink,The Archaeology of the nile delta ; problems and priorities. …..,cairo 1988.

[٢١١] تقع منطقة تل الفرخة /غزالة بالسنبلاوين -محافظة الدقهلية ، وقد بدأ الحفر بها بعثة بولندية عام ١٩٩٨ ، برئاسة Marke Chlodnicki وقد عثر بها على دفنات وآثار تؤرخ من مرحلة نقادة الثانية D2 وحتى نقادة الثالثة بجميع مراحلها بما فيها الأسرة صفر وتستمر طبقاتها حتى العصر العتيق .يشكر الباحث د.محمد عبد المقصود مدير عام آثار الوجه البحري ، لتسهيله

مهمة الاطلاع على تقرير البعثة الهولندية

- و كما يذكر سبنسر فإن مقابر تلك الفترة تمثل النقلة الطبيعية لمقابر بواكير الأسرة الأولى ذات الشكل المستطيل والمبنية بالطوب اللبن والمبطنة بالخشب.والمقسمة بفواصل جدارية إلى أقسام صغيرة وصلت إلى أكثر من خمس حجرات تحتوى الوسطى منها على جثة المتوفى [٢١٥]
- هذا وقد دل فحص الجبانات أن قبور الفقراء ظلت خلال هذه الفترة على ما كانت عليه في الفترة السابقة، و أما قبور الأغنياء فقد ازدادت العناية بها فأصبحت تحفر إلى عمق كبير خلال الطبقة الرملية ، بل خلال الطبقة الصخرية إلى عمق الطبقة التي تحتها. وكان لابد في هذه الحالة من عمل درج يؤدي إلى المقبرة لكي ينزل بواسطته حملة النعش و حملة القرابين كما كان لابد من عمل سقف يقوم فوق أعمدة، و قد ثبت أنه في حضارة نقادة الثانية كان يعمل تجويف في جانب المقبرة لوضع المتاع الجنائزي أو التقدمات، فإذا ما انتقلنا إلى حضارة سماينة أو نقادة الثالثة ، نجد أن هذا التجويف تزداد مساحته ثم يفصل عن حفرة الدفن بحاجز من الأغصان ثم يتحول أخيراً إلى حجرة مستقلة و يبني الحاجز بالطوب . وهناك مجموعة من المقابر تعلو فيها مباني المقبرة فوق سطح الأرض وتخصص غرفة للعبادة وتقديم القرابين [٢١٦]

وقد قسمت الحجرة المبنية باللبن تحت سطح الأرض إلى حجرات كما أسلفنا ، وكما ظهر في منشية " أبو عمر" [٢١٧]، وبدأوا تقسيمها قبيل الأسرة الأولي إلى حجرتين حجرة كبيرة للجثة و حاجياتها الثمينة ، وأخرى صغيرة للأواني العادية ، وتطور ذلك إلى تقسيم الحجرة

M.Chlodnicki and K.M.Cialowicz,Tell el Farkha (Ghazala) (Daqahliya,Markaz Sinbilawayn),Preliminary Report on the Polish Archaeological Mission,2000

[٢١٢] تقع منطقة إبراهيم عوض شمال غرب تل الضبعة بحوالي ١٠ كم وجنوب تانيس بالشرقية ، وقد بدأت البعثة الهولندية حفائرها بها عام ١٩٨٨ برئاسة Willem M.van Haarlem ، وكشف بها عن معبد يرجع للدولتين القديمة و الوسطى ، وفي عام ١٩٩٩ تم الكشف عن اساسات المعبد التى تؤرخ بما قبل الأسرات . انظر

Edwin C.M.van den Brink, "Preliminary Report on the Excavations at Tell Ibrahim Awad,Seasons 1988-1990",in E.C.M.van Den Brink,the Nile Delta in Transition.4th to5rd Millennium B.C.,1992.43ff.

[٢١٣] جنوب تل الضبعه .

[٢١٤] نشير هنا إلى حفائر بعثة كلية الآثار -جامعة القاهرة ، برئاسة أ.د على رضوان ، بمنطقة" أبو صير"، من عام ١٩٨٨إلى عام ١٩٩٣، حيث تم الكشف عن جبانة كبيرة ترجع إلى نهاية عصر ما قبل الأسرات /نقادة الثالثة والعصر العتيق.انظر علي رضوان ،"حفائر كلية الآثار جامعة القاهرة في منطقة "أبو صير" / تقرير= = أولي عن موسم ١٩٨٩-١٩٩٠" مجلة كلية الآثار جامعة القاهرة ، العدد الرابع (١٩٩٠)٣٧٩-٣٨٣؛ علي رضوان ،"حفائر كلية الآثار جامعة القاهرة في منطقة أبو صير / تقرير أولي عن موسم ١٩٩٠-١٩٩١" مجلة كلية الآثار جامعة القاهرة ، العدد الخامس (١٩٩١)، ٣٠٣-٣٠٤.

A.Radwan,"Ein Treppengrab der 1.Dynastie aus Abusir", MDAIK 47 (1991), 305-308 ; Taf.39-42(Fs.Kaiser);id. , "Recent Excavations of the Cairo University at Abusir LA cemetery of the 1st Dynasty",in Fs.W.Barta,1995,311ff.

[٢١٥] جيفرى سبنسر ، المرجع السابق ، ٦٥

[٢١٦] إبراهيم رزقانه ، المرجع السابق ، ٤٧٩-٤٨٠

[217]D.Wildung, Minshat Abu Omar, , 1985, K.Kroeper, The excavation of the Munich East-Delta Expedition in Minshat in Abu Omar , the Archaeology of Nile

و حاجياتها الثمينة ، وأخرى صغيرة للأواني العادية ، وتطور ذلك إلى تقسيم الحجرة الصغيرة إلى حجرتين فأصبحت ثلاث حجرات استخدمت كمخازن كما في منشأة عمر . وتل السمرة .

- وفي جبانة كفر حسن داوود [٢١٨] ، حيث يذكر" فكرى حسن" في أحد تقاريره[٢١٩] ، عثر على مقابر تصل أبعادها إلى ٦×٤م (قبر رقم ٩١٣ و رقم ٩٧٠) ، وكانت بعض تلك المقابر مغطاة بكومة من الرمل والطمي والحصى . والى الجنوب من هذه الكومة نجد منحدر Rampمن الطمي . وقد عثر على قدور وجرار بالمستويات الأعلى في الجزء الشمالي لغطاء المقبرة وهو ما قد يشير كما يرى فكرى حسن إلى وجود مقصورة لتقديم القرابين . وقد اشتملت المقابر على كثير من محتويات الأثاث و المتاع الجنائزي أمثال الأواني الفخارية و الحجرية والصلايات والدبابيس النحاسية والحلي وأدوات الزينة الخ. وقد أحيطت المقابر الكبيرة بمجموعة من القبور البيضاوية الضحلة التي تحتوى على القليل من المتاع الجنائزي **(لوحة ١٩ / أشكال ب،ج)**.

وتتميز الدفنات بصفة عامة في حسن داوود بوضع المتوفى ممددا وراقدا على جانبه الأيسر مع وضع الرأس ناحية الشمال بحيث يواجه الشرق . وفي حالات خاصة كانت هناك توابيت فخارية . واشتملت معظم المقابر على دفنات فردية ، وإن عثر أيضا على مقابر بها دفنات لأربعة أفراد طفل ورجل وسيدتين (رقم ١٠١٥) أو فردين /أنثى وذكر (رقم ١٠٢٧). كما عثر هناك على بعض الدفنات الحيوانية التى قد تشير إلى دفنات مقدسة .

- ومن أشهر الجبانات التى يؤرخ قطاع كبير منها بنقادة الثالثة والأسرة صفر ،هي الجبانة المعروفة برمز (U) التى تقع شمال مقابر ملوك العصر العتيق بمنطقة أم الجعاب بأبيدوس .وتحتوى على عدد من المقابر التى بطنت بالطوب وبها أماكن دفن متسعة ، وتصل مساحة بعضها إلى حوالي ٩٠ متراً مربعاً ، وتشتمل على حجرة الدفن وعدد من الغرف خصصت للأثاث الجنائزي وأعداد هائلة من الأواني منها المحلي ومنها المستورد من فلسطين . وقد سقفت المقابر بالخشب والحصير **(لوحة ٢٠ / أشكال أ،ب)** .[٢٢٠]

Delta, NSAOE 1988.; Kaiser, "Zum Friedhof der Naqadakultur von Minshat Abu Omar", ASAE 71 (1987), 119-125

[٢١٨] يقع هذا الموقع شرق الدلتا بالقرب من التل الكبير ، وقد جرى التنقيب فيه لأول مرة من قبل المجلس الأعلى للآثار في موسم ١٩٨٩/١٩٩٠ واستمر الحفر عدة مواسم حتى سنة ١٩٩٥ . و أسفرت الحفائر عن ٩٢٠ مقبرة ترجع إلى أواخر عصر ما قبل الأسرات وبداية الأسرات ، تخللتها دفنات ترجع إلى العصر المتأخر وحتى العصر البطلمي .ومنذ عام ١٩٩٥ بدأت بعثة كلية لندن الجامعية في تأسيس برنامج للحفر والبحث والصيانة والتدريب بالمنطقة وحتى الآن .

[٢١٩] قدم هذا التقرير إلى إحدى الندوات التي عقدت في مصر بالمركز العلمي للآثار بسيناء/القنطرة شرق ، أبريل ٢٠٠٠ .

The Bioarchaeological Heritage of Egypt /workshop /Northern Sinai Research Center –Qantara,Egypt125-27April 2000

[٢٢٠] انظر على سبيل المثال:

- وفي جبانة أخرى بابيدوس أخذت رمز (B) ، عثر على عدة مقابر بالقرب من مقبرة أول ملوك الأسرة الأولى "عحا" ، تنتسب إلى أسلافه ملوك الأسرة صفر و أخذت أرقام B1/2,B7/9,B17/18 ، وترجع إلى الملوك "اري حور" و "سخن أو كا"و "نعرمر" ، وقد عثر على أوان وطبعات أختام عليها أسماء هؤلاء الملوك . [٢٢١] .

◆ وأخيرا نستعرض أهم نتائج البحث والسمات العامة لعقائد الدفن وعبادة الأسلاف فيما قبل التاريخ في الشرق الأدنى القديم :-

- اتخذت المقبرة في البداية في معظم بلدان الشرق الأدنى هيئة حفرة بسيطة تنوعت ما بين الشكل البيضاوى أو المستطيل أو الدائري .ثم تطورت بشكل ملحوظ في مصر عن بقية الدول. وفي منطقة عينان النطوفية تميزت المقابر بجدران ضخمة.

- تنوعت المقابر في كل بلاد الشرق الأدنى ما بين المدافن الفردية أو الجماعية وقد دفن الموتى في قبور ترابية أو رملية أو طمية أو حجرية .

- فيما عدا شبه الجزيرة العربية مارس أهالي الشرق الأدنى في البداية و منذ إنسان نياندرتال عادة الدفن في المساكن سواء أسفل أرضية البيت أو بالقرب منه . وبينما استمر البعض على ذلك مثلما في الحضارات الإيرانية وبلاد الشام ، خرج البعض الأخر بجباناتهم خارج المستوطنة في موقع مستقل أخذ هذا الموقع في أغلب الأحيان اتجاها بعينه من محل السكن في بعض البلاد مثل مصر وقطر والبحرين مما يشير

W.Kaiser,"Zu den Königsgräbern der 1.Dynastie in Umm-el-Qaab", MDAIK 37 (1981), 247-254.;id,"Zum Siegel mit Frühen Königsnamen von Umm el-Qaab", MDAIK 43 (1987), 115-119,id ."Zur Südausdehnung der Vorgeschichtlichen Deltakulturen und zur Frühen Entwicklung Oberägyptens", MDAIK 41 (1985), 61-87 .

Kaiser, Werner / Grossmam, Peter, "Umm el-Qaab : Nachuntersuchungen im Frühzeitlichen Königsfriedhof, 1.Vorbericht", MDAIK 35 (1979), 155-163 .

Kaiser, /G. Dreyer , "Umm el-Qaab : Nachuntersuchungen im Frühzeitlichen Königsfriedhof, 2.Vorbericht", MDAIK 38 (1982), 209-269 .; G. Dreyer u.andre,"Umm el-Qaab .../5-6Vorbricht",MDAIK 49(1993),23ff.

Dreyer, Gunter. Umm el-Qaab I : das pradynastische Konigsgrab U-j und seine fruhen Schriftzeugnisse ,(DAIK); Mainz, 1998.

[٢٢١] جيفري سبنسر ، المرجع السابق ،٩٧-٩٨؛

إلى مغزى عقائدي ناقشه الباحث في الدراسة ، بينما اتخذ اتجاهات مختلفة في البلاد الأخرى .

- رقد المتوفى في أغلب الأحيان في معظم بلاد الشرق الأدنى بوضع القرفصاء وقد ناقش الباحث أسبابه ومن أهمها في البداية صغر حجم حفرة الدفن، ولكن وجدت حالات الوضع المنثني والممدد سواء على الجانب أو الظهر .وفي أريدو مثلا دفن الموتى وهم مضطجعون على ظهورهم في مقابر محددة ومغطاة بالآجر. وفي منطقة عفرين بحلب دفن المتوفى مستلقيا على ظهره ويداه ممددتان وقدماه منثنيتان . وفي منطقة عين ملاحة بفلسطين وجدت حالات مدفونة في تقابل وجها لوجه .

- تميزت مواقع ما قبل التاريخ في شبه الجزيرة العربية والتي تؤرخ غالبا بنهاية القرن الرابع ق.م والقرن الثالث ق.م ، وغالبا ما يربطها البعض بحضارة العبيد وما بعدها في بلاد ما بين النهرين ، تميزت بالتلال الجنائزية التي حوت العديد من المدافن الحجرية مثل ما هو في جزيرة فيلكا في الكويت و مواقع حضارة باربار في البحرين ، وجزيرة تاروت بالسعودية ، ومنطقة الفريحة ومنطقة أم الماء في قطر ، وجزيرة أم النار ومنطقة جبل الظنة في أبو ظبي ، ومناطق طوي سليم وبات ورأس الحمراء و قرية يجران في سلطنة عمان .

- كفنت الجثة بالجلد في كل من مصر وبلاد الشام ، وبالحصير في مصر والعراق وبطنت المقابر مثلما في مصر والعراق بالحصير والبوص ثم بالخشب ووضعت الجثة في مراحل متقدمة في توابيت فخارية وخشبية
- عثر على دفنات بشرية بمصاحبة دفنات حيوانية أشهرها الكلب والماعز والغزال في الشرق الأدنى.
- اختص النطوفيون بمسألة فصل الرؤوس عن الأجساد ودفنها منفردة داخل المساكن ، مما يذكرنا بنفس العصر في أوربا ، وبعملية تقديس جماجم الأسلاف، واستمرت تلك العادة خلال العصر الحجري الحديث وتميزت حضارة أريحا بدهن الجماجم وتكليسها بالجص وتثبيت صدفتين في فجوتي العينين ، وفي تل الرمد طليت بالقار ، وشاركهم في ذلك ، أصحاب الحضارة الحلفية بالعراق ، وحضارة حاج فيروز في إيران ، وحضارة شتال هيوك بالأناضول والتي دفن أهلها الجثث أسفل منصات المنازل والصوامع، بينما احتفظوا بالجماجم في المنازل فوق قواعد ، وكانوا يتركون موتاهم للنسور تنهش لحمها قبل دفنها وفصل الرأس وقد صوروا تلك العملية على جدران منازلهم وإن رفض البعض تلك الفكرة . والجدير بالذكر أن في معظم المواقع التي شهدت عملية فصل الرقبة لم تنعدم الدفنات الكاملة .

وقد حاول البعض أن يربط بين تلك العادة لفصل الرأس وبين بعض الجثث التي وجدت مفككة في المقابر المصرية ولاسيما أثناء الحضارة النقادية الأولي ولكن الباحث قد ناقش تلك المسألة مبينا أسبابها في مصر .

- ظهر في معظم مواقع الشرق الأدنى ظاهرة الاهتمام بالموتى من الأطفال سواء بعمل أماكن مخصصة لهم أو دفنهم بالمساكن حتى ولو كان هناك جبانة مستقلة ، وقد دفنوا في كل من سوريا والعراق ومصر في جرار فخارية مخصصة لهم في اكثر من موقع .، وفي كثير من المقابر في مصر في المعادي وبلاد الشام في تليلات الغسول، و العراق

في حسونة وسمراء و تبة كورة وإيران في تبة جيان وتبة دالما وقد جمع في مواقع كثيرة بين الأم وطفلها .

- في بعض الأماكن بالشرق الأدنى مارس الأهالي عملية حرق الجثث مثل موقع تل الجزر بفلسطين ، وفي تل حلف حرقت الجثث ووضعت في جرار .
- عثر في جبيل وكذا في مصر في البداري وبعض مواقع نقادة الثالثة ، وفي قطر على أماكن لإقامة الشعائر الجنائزية .
- اهتم الأهالي في العراق وإيران منذ العصر الحجري القديم الأوسط بعملية طلاء المتوفى بالمغرة الحمراء وفي العراق طليت الجثث بالقار ، وربما كان لذلك علاقة بالحفاظ على الجثة ، أما في مصر نجد أن هناك بعض الجثث في البداري طليت بلون اخضر ربما لهذا علاقة بمسألة البعث والنشور.
- تساوى معظم أهالي الشرق الأدنى في وضع القرابين والمتاع الجنائزي مع موتاهم ، سواء من الحلي والأواني الفخارية و الأسلحة الحجرية والمنحوتات الحيوانية التي ازدادت في المقابر المصرية ، والمنحوتات الآدمية ولاسيما تماثيل الإلهة الأم التي اختلفت معانيها والغرض منها بل ومواقع اكتشافها ما بين المسكن والمقبرة في بلاد الشرق الأدنى ففي الوقت الذي ارتبطت فيه في العراق وإيران بالخصوبة في الزرع ارتبطت في الأناضول بزيادة الإنجاب والخصوبة الجنسية ، أما في مصر فقد ارتبطت بإعادة الولادة وتجديد الحياة في العالم الآخر. بينما في مواقع أخرى لم يصحب الموتى أي أثاث جنائزي مثل كهف بلت، ومرحلة سيالك الثانية في ايران.
- وأخيرا فرغم أن الحفاظ على الجسد ودفنه وتزويده بالقرابين كان السمة الغالبة في جميع بلاد الشرق الأدنى القديم ، إلا أن مسألة الإيمان بالبعث والنشور والحياة الأبدية لا نستطيع أن نقر إنها كانت عقيدة آمن بها الإنسان في كل هذه البلاد ، طبقا لما أوضحته لنا بعد ذلك عقائدهم الدينية في عصورهم التاريخية .ولذا فمسألة خلود الجسد وخلود الروح بعد الموت ، يرى الباحث فيها : أن خلود الإنسان على هيئته في عالم آخر أبدي يعاقب فيه أو يثاب ويعمل من أجله صالحا في الحياة الدنيا ، لم يتضح إلا في عقيدة المصريين القدماء وبشكل غير مؤكد في شبه الجزيرة العربية . وفي المقابل هناك خلود للروح إما في هيئة آدمية أو هيئة أي كائن حي (تناسخ) أو هيئة مركبة و قد تأتي من العالم الآخر لتهيم في عالم الأحياء، وقد تكون إما روحاً شريرة تؤذى أو روحاً خيرة تفيد كما في العراق وإيران.[٢٢٢]

---

[٢٢٢] أنظر ، نائل حنون ، عقائد ما بعد الموت في حضارة بلاد الرافدين القديمة ، بغداد ١٩٨٦ ؛ خالد عبد الملك النوري ، " الموت كما رآه العراقيون القدماء " بحث قدم إلي المؤتمر الخامس عشر للآثار والتراث الحضاري في الوطن العربي ،دمشق ٢٠٠٠ ؛ أحمد سعيد ، " نشأة الأشكال الخرافية ما بين مصر وبلاد الشرق الأدنى"، مجلد المؤتمر العلمي الأول لجمعية الأثريين العرب في مصر ،نوفمبر ١٩٩٩ ، ص ١ وما بعدها .

لوحة (١)

♦ خريطة لبعض مواقع الشرق الأدنى القديم.

لوحة (٢)

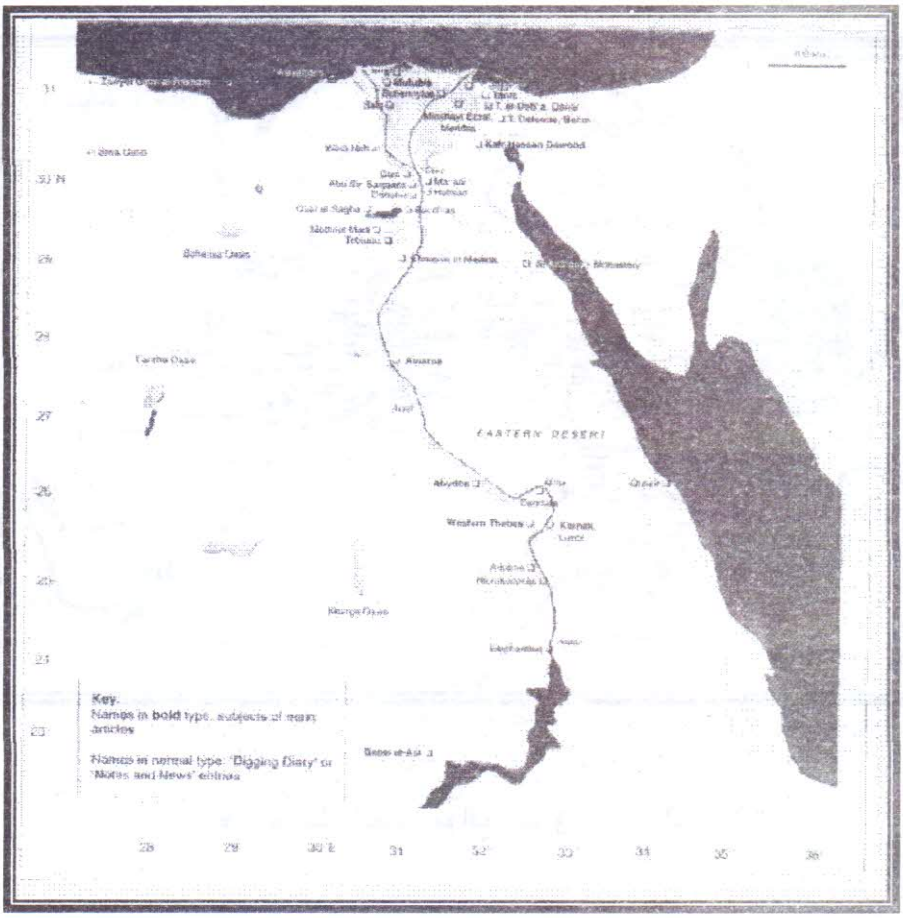

♦ خريطة لبعض مواقع ما قبل التاريخ الجديدة في مصر

لوحة (٣)

◆ هيكل إنسان مدفون مع جرو من عين الملاحة (الشام).

لوحة (٤)

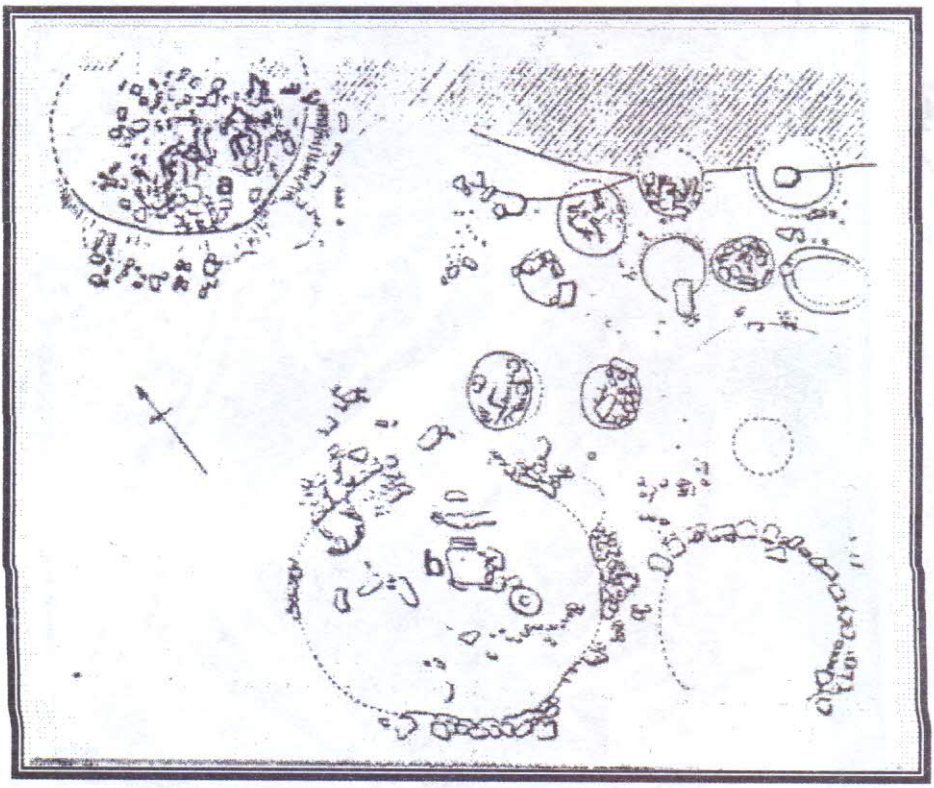

شكل (أ) مخطط لجزء من قرية عينان النطوفية مع بيوت دائرية وحفر تخزين وقد أعيد استعمال بعضها كقبور ، a = قبر زعيم العشيرة b = الموقد في منزل دائري. لاحظ المدافن في حفر التخزين بعد استعمالها(الشام) .

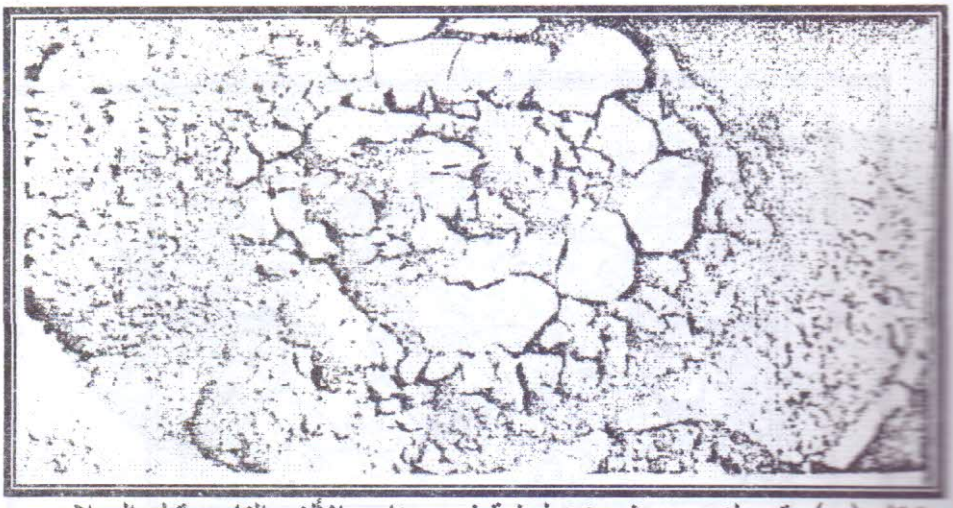

شكل (ب) قبر لزعيم عشيرة نطوفية في عينان ،الألف التاسع قبل الميلاد . والقبر متراس ملون باللون الأحمر ومطلي بالجص ومغطى برصيف حجري. ولعل القبر في الأصل كان منزل لزعيم العشيرة ثم دفن فيه فيما بعد(الشام).

لوحة (٥)

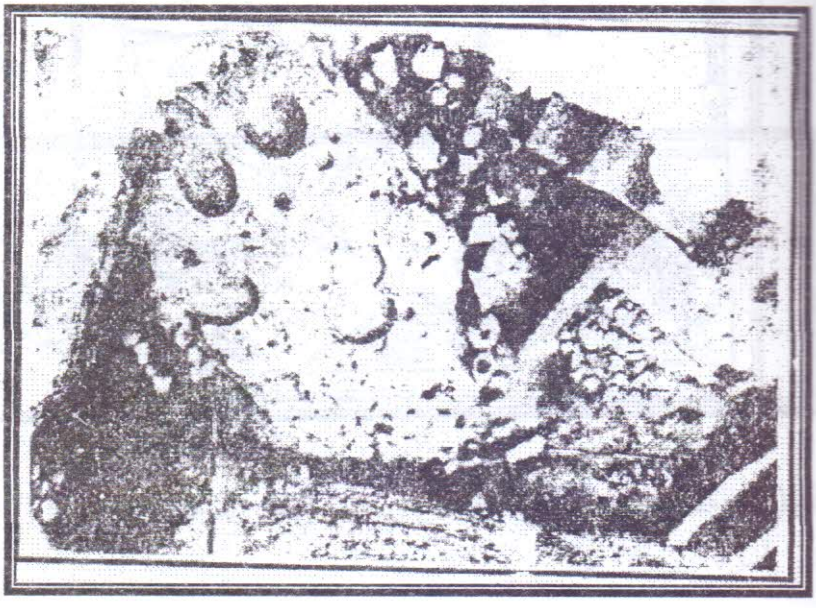

شكل (أ) ضريح نطوفى قديم في أريحا .تمثل الفجوات المستديرة على الأرض المطلية بالجص حفراً للتخزين ، وتعتبر الجاروشة دليلا على إعداد الأغذية النباتية وعلى زراعتها(الشام).

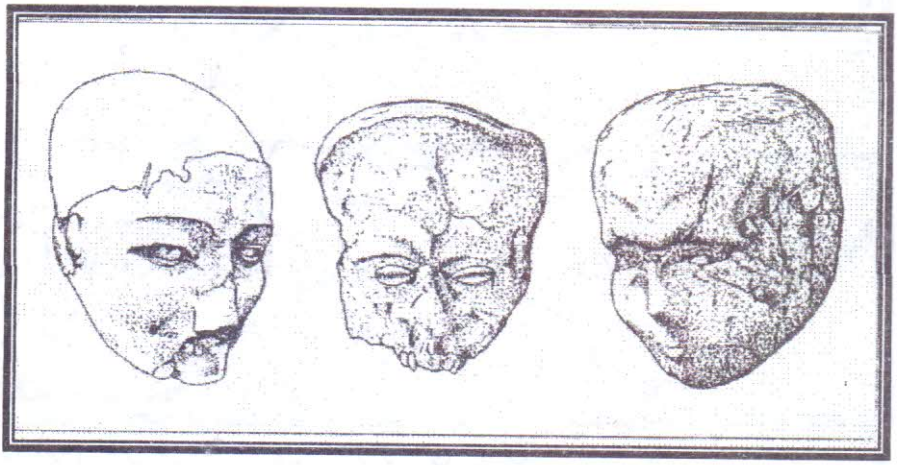

شكل (ب) جماجم محنطة من أريحا . على إحدى هذه الجماجم رسمت خطـــوط بنية، بالمغرة الحمراء ، متلاصقة كإشارة لشعر الرأس(الشام).

لوحة (٦)

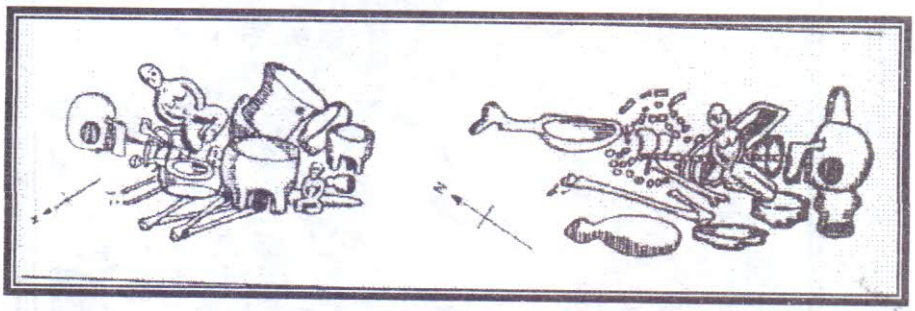

شكل (أ) القبر وقرابينه من دمى وأواني وخلافه في حضارة سامراء(العراق).

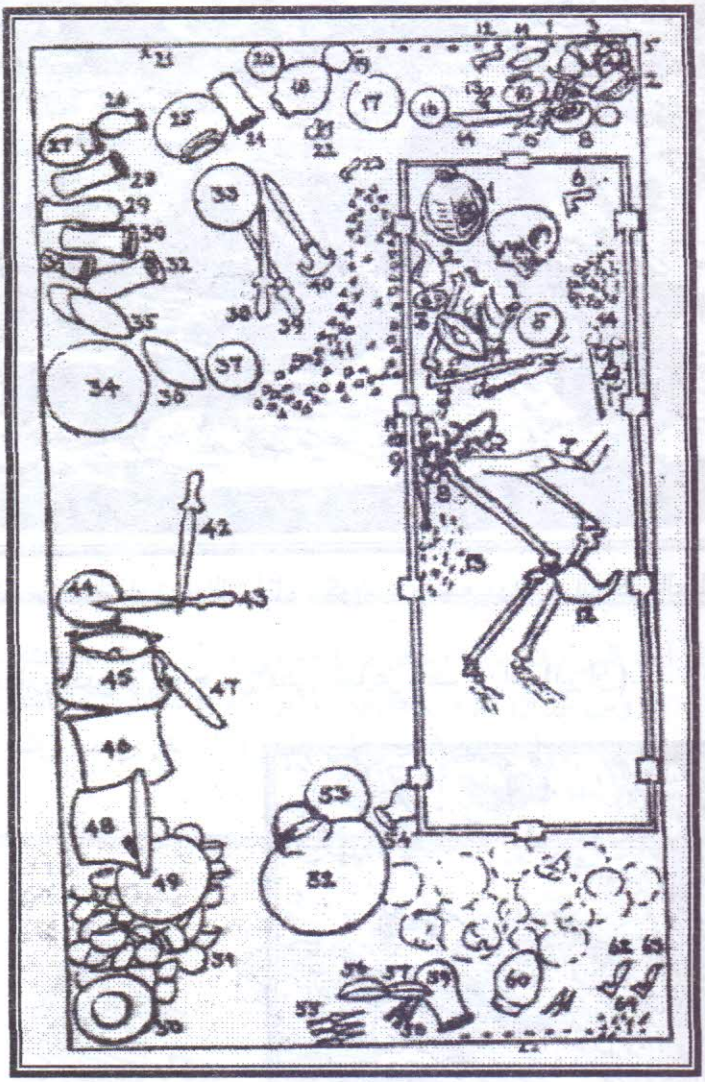

شكل (ب) أحد مقابر ملوك
أسرة أور الأولى(العراق).

لوحة (٧)

شكل (أ) دفنة من حضارة سيالك /تل باكون ، وضع بها مع الهيكل العظمي فأس
أمام اليدين و زوج من فكي الماعز عند الرأس(ايران).

شكل (ب) مجموعة من الموتى في وضع منحني أسفل إحدى المنصات في مزار من الطبقة السادسة شاتال هويك-(الأناضول).

لوحة (٨)

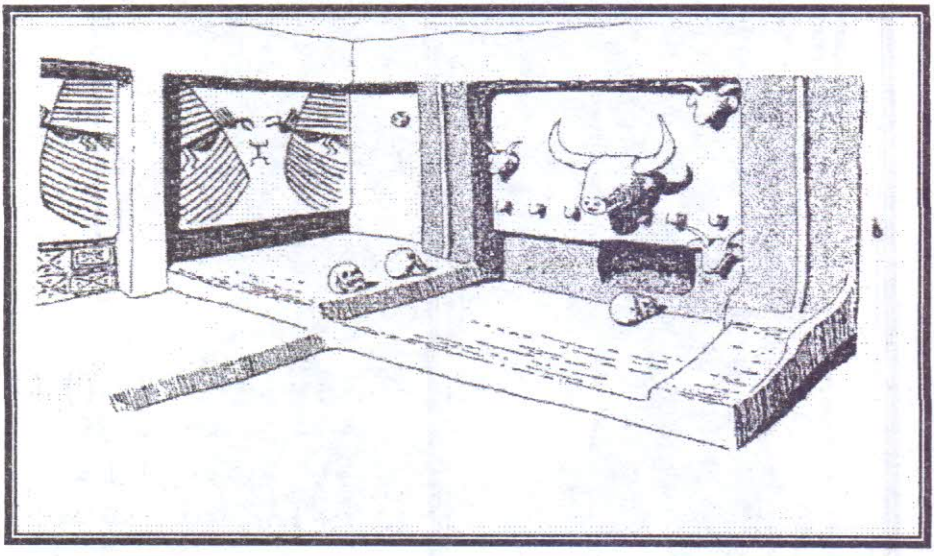

شكل (أ) أحد المزارات من الطبقة السابعة في شتال هيوك ،نحتت على جدرانه رؤوس ثيران بقرون حقيقية كرمز للمعبود الثور ، وأسفل الجدران وضعت جماجم الموتى. وعلى الجدران الأخرى صورت النسور وهي تنهش لحوم الموتى (الأناضول) .

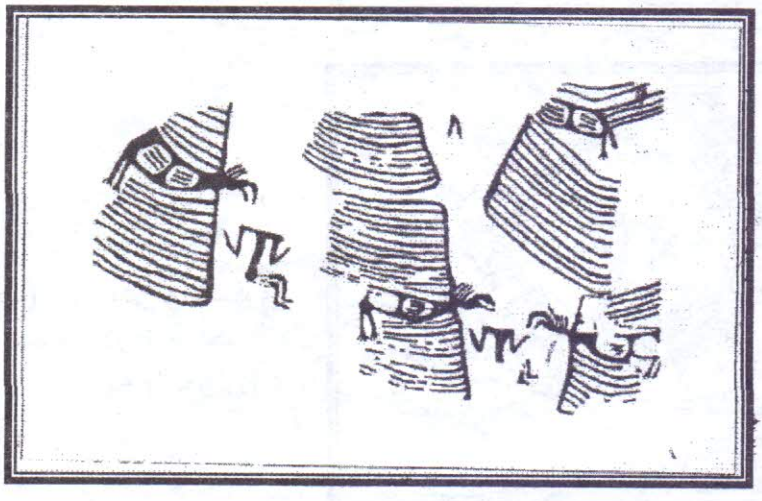

شكل (ب) تفصيل من الشكل (أ)

لوحة (٩)

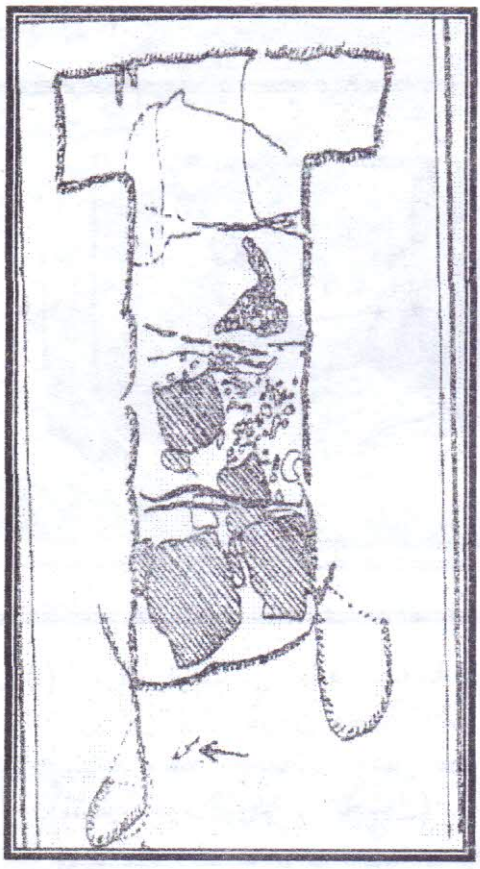

شكل(أ) قبر على شكل حرف T ، كان يعلوه تل من الصخور يصل إلى حوالي ١٨٠سم أحد التلال الجنائزية (البحرين).

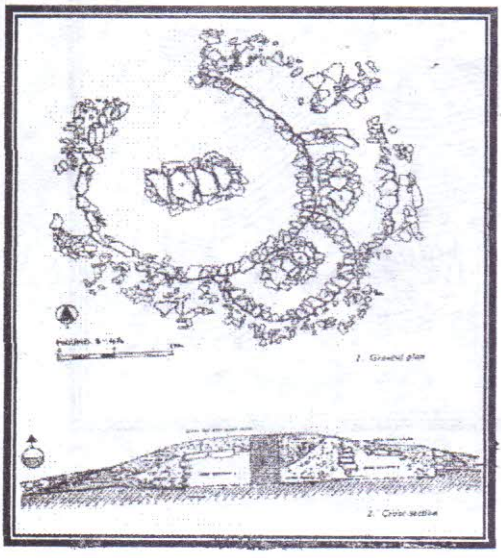

شكل (ب) تل بمدفن واحد فوق سطح الأرض، أحد التلال الجنائزية (البحرين) .

لوحة (١٠)

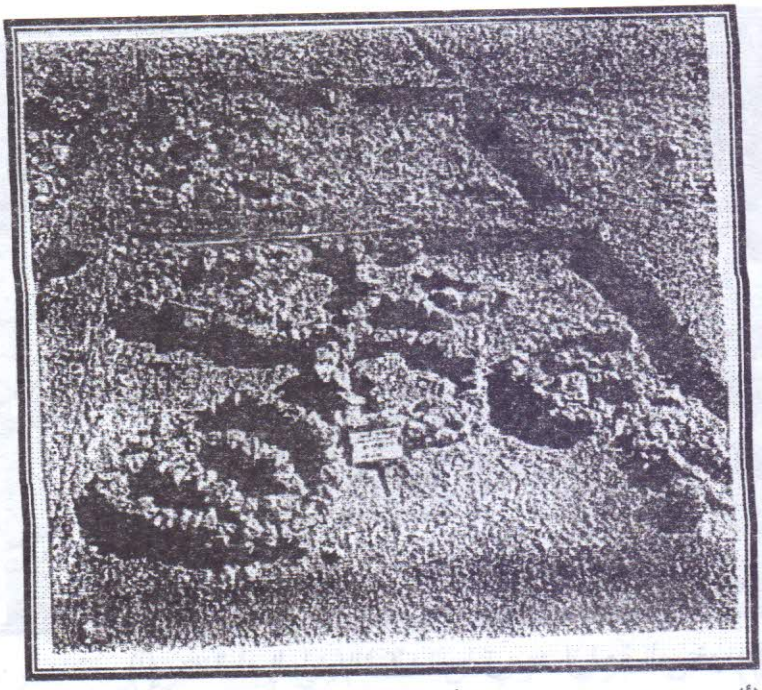

شكل (أ) موقع صغير لمدافن الأطفال (النوع الخامس)،أحد التلال الجنائزية (البحرين)

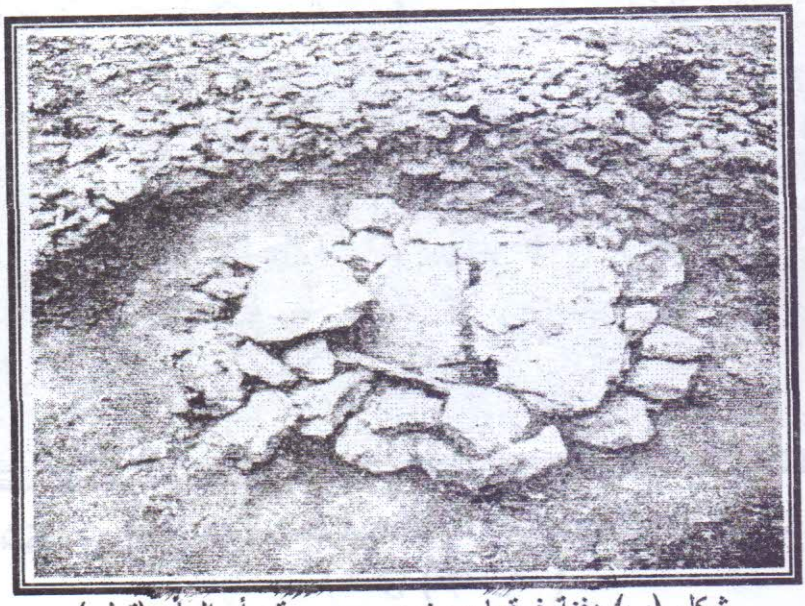

شكل (ب) دفنة فوقها صخور من موقع أم الماء (قطر)

لوحة (١١)

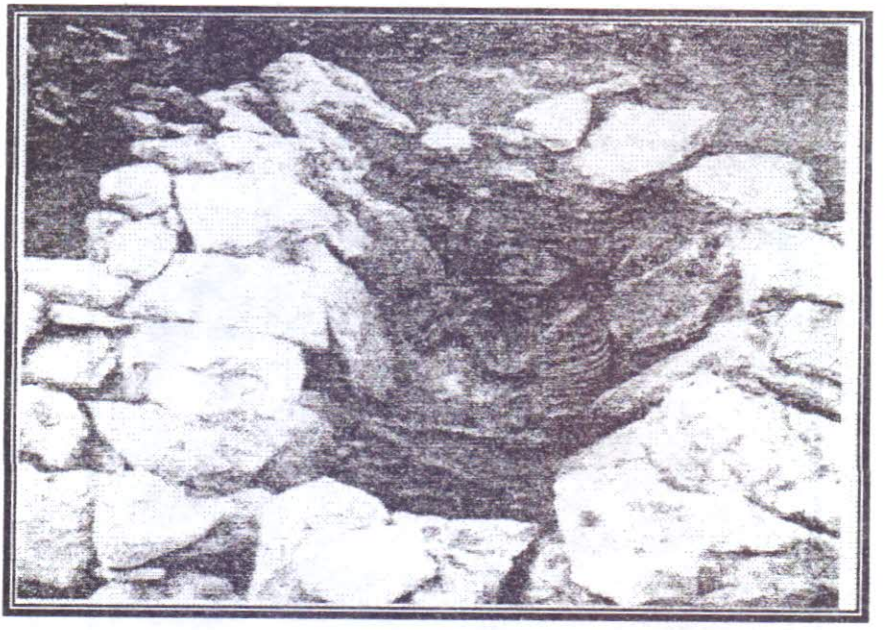

شكل (أ) دفنة أم الماء /الشكل السابق،بعد إزاحة الصخور(قطر)

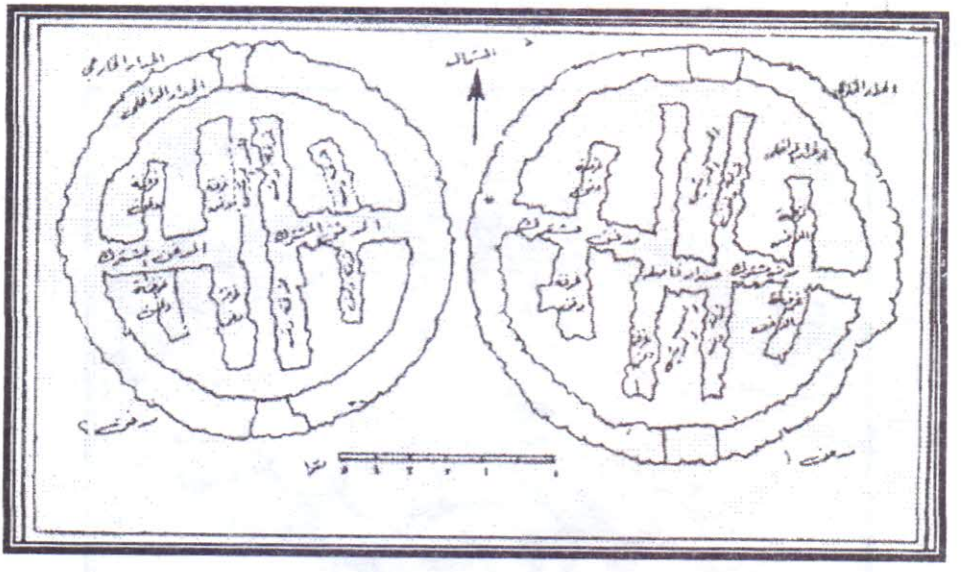

شكل (ب) قبران بهما مدافن مشتركة ، أحد التلال الجنائزية ،من أم النار (الإمارات)

لوحة (١٢)

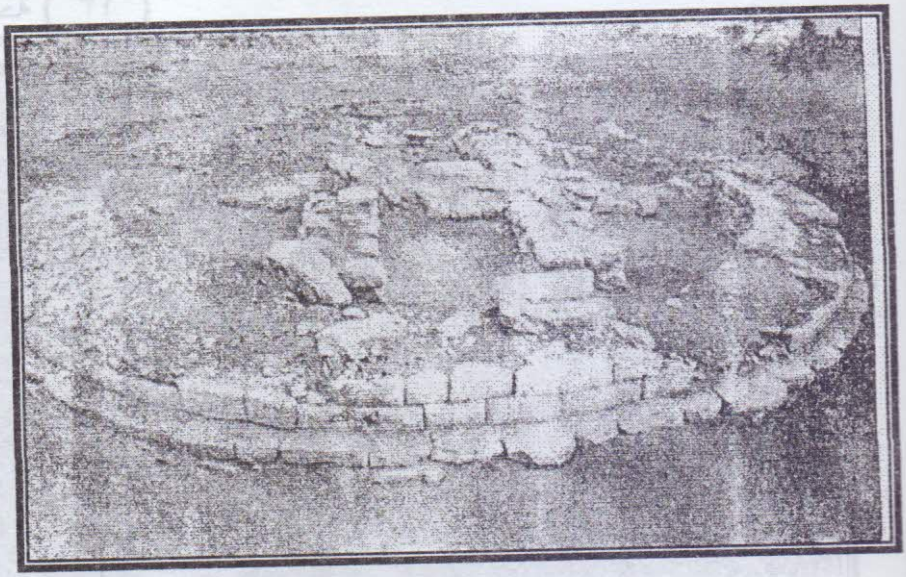

شكل(أ) مدفن حجري دائري من منطقة هيلي /واحة البريمي، (الإمارات)

شكل(ب) أحد التلال الجنائزية ،رقم ٣، المبنية من الحجر الجيري ، من طوي سليم، (عمان)

لوحة (١٣)

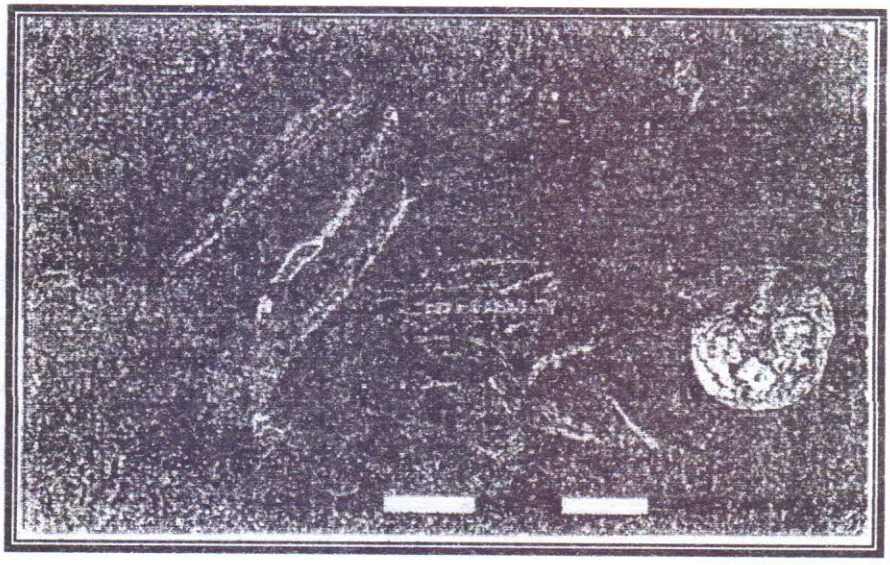

شكل (أ) دفنة من التل الجنائزي رقم ٢ ،طوي سليم (عمان)

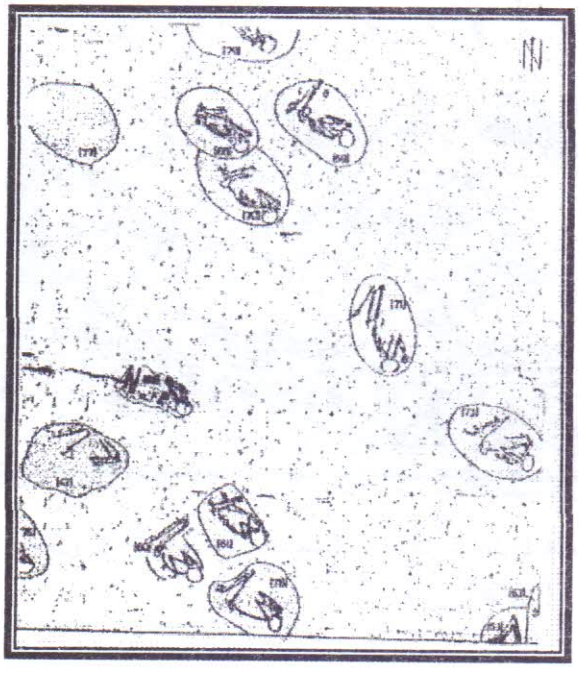

شكل (ب) نماذج لدفنات من مرمدة بني سلامة (مصر)

لوحة (١٤)

شكل (أ) مقبرة أحد الحكام من حلوان رقم A35 ، حضارة العمري، وقد دفن المتوفى ومعه صولجان دلالة على السلطة والقوة (مصر).

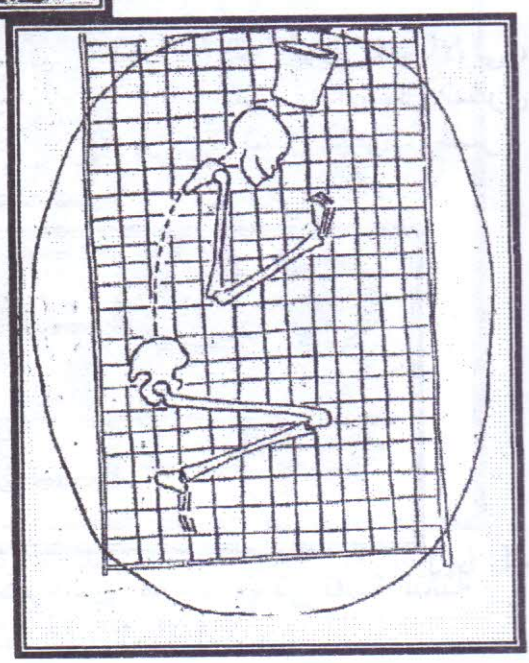

شكل(ب) شكل تخطيطي إحدى مقابر دير تاسا، ويلاحظ وضع الجثة والقربان على الحصيرة بالمقبرة (مصر)

لوحة (١٥)

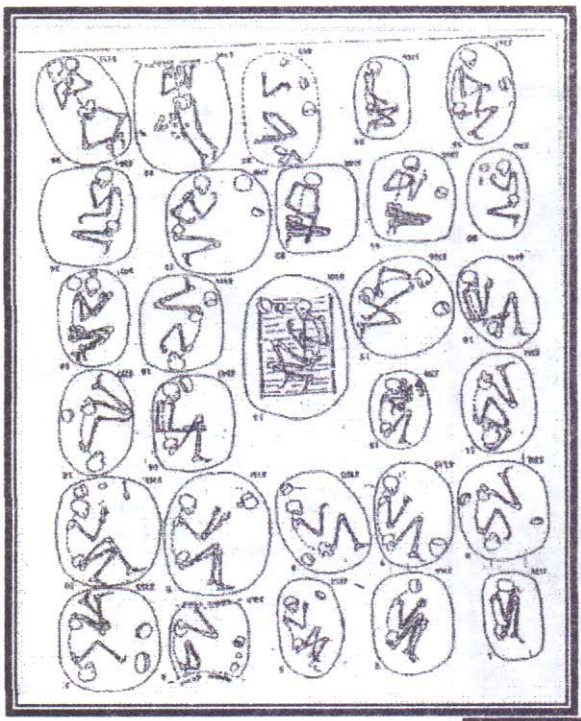

شكل (أ) نماذج من مقابر البدارى ويلاحظ وضع المتوفى والقرابين في كل دفنة (مصر)

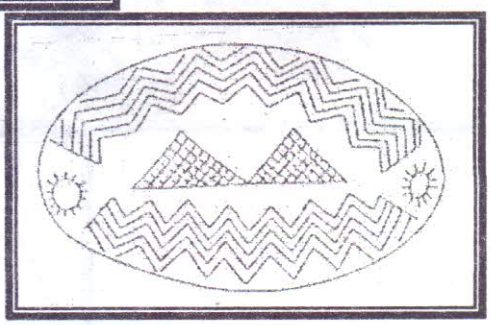

شكل(ب) طبق فخار /نقادة الأولى ، تظهر عليه شمس المشرق وشمس المغرب (مصر).

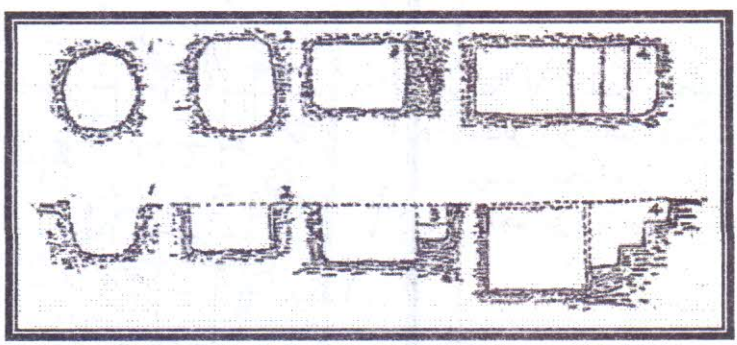

شكل (ج) تطور عمارة المقبرة من مرمدة وحتى نقادة الثالثة من أجل الحفاظ على الجثة (مصر)

لوحة (١٦)

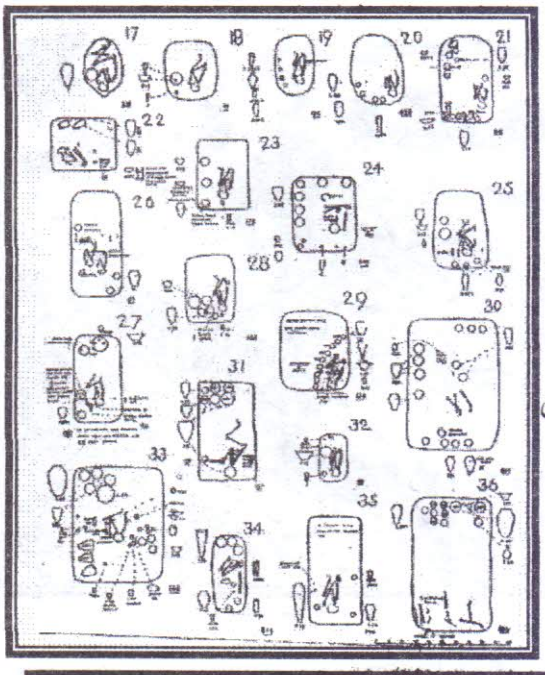

شكل (أ) نماذج من مقابر حضارة نقادة الأولى والثانية (العمرة وجرزة في بلاص) ويلاحظ وضع الجثة والقرابين في كل دفنة (مصر)

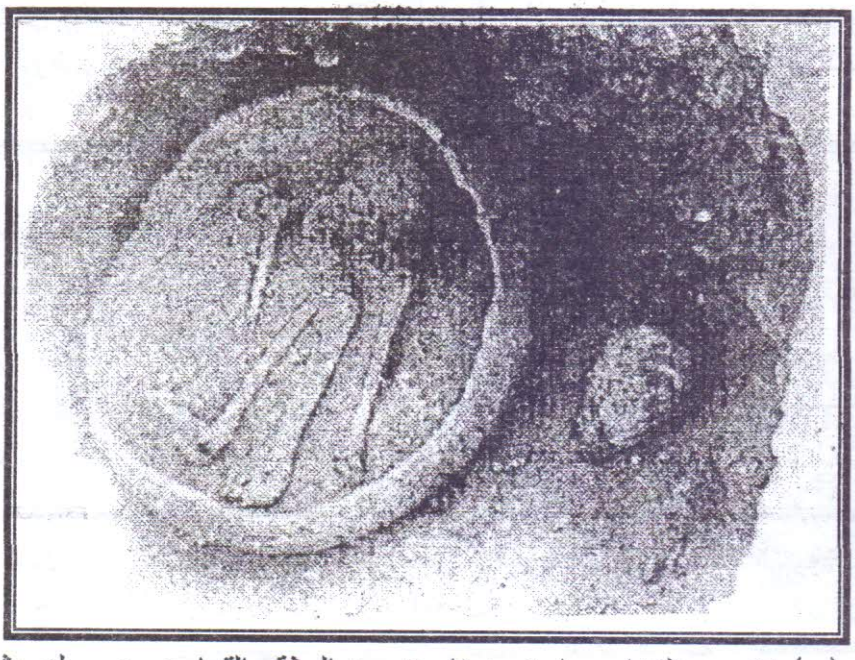

شكل (ب) إناء من الفخار عبارة عن تابوت وبه الجثة والقرابين من حوله عثر عليه في العمرة /نقادة الأولى (مصر).

لوحة (١٧)

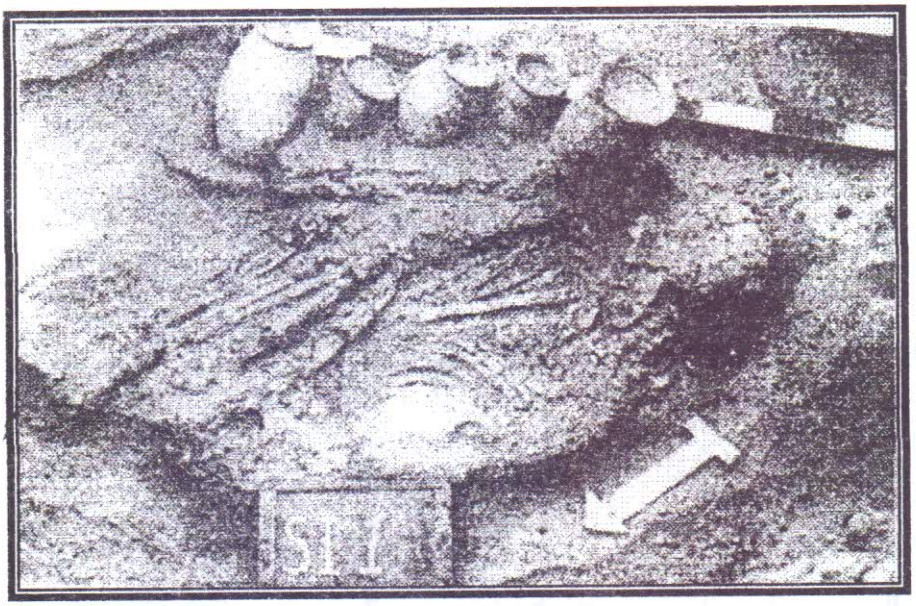

شكل (أ) مقبرة لشاب من منطقة هليوبوليس تبين لنل وضع الجثة ونظام وضع الأواني الفخارية المملؤة بالقرابين في صف على رف مرتفع موازى للجثة ، نقادة الثانية (مصر)

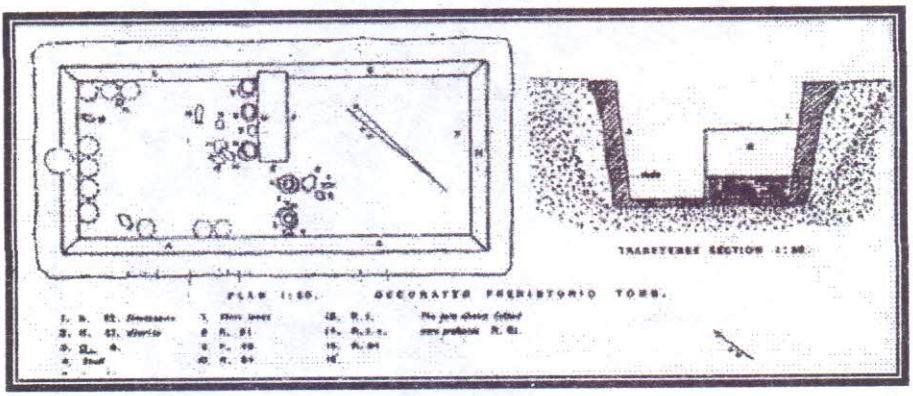

شكل (ب) تخطيط مقبرة الزعيم (نخن / الكوم الأحمر)، نقادة الثانية–الثالثة (مصر)

لوحة (١٨)

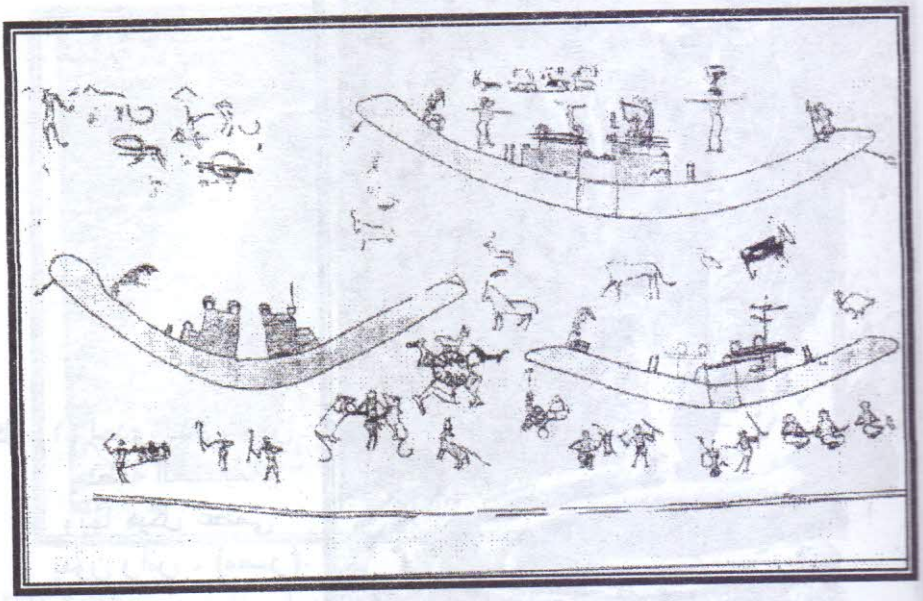

شكل (أ) جزء من مناظر مقبرة الزعيم (انظر الشكل السابق)

شكل (ب) إناء من الفخار من المعادى استخدم كتابوت دفن به طفل ويلاحظ وجود ثقوب أمام عيني الجثة (مصر)

لوحة (١٩)

شكل (١) إحدى الدفنات من منطقة العضايمة، وبها هيكل عظمي بدون رأس ، (مصر).

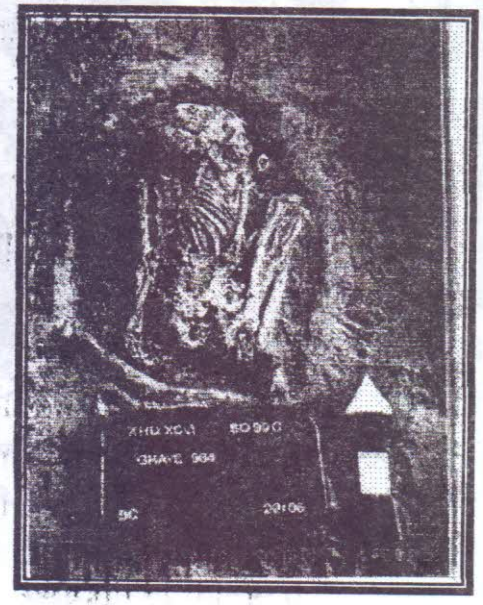

شكل (ب) إحدى الدفنات من كفر حسن داوود، المقبرة رقم ٩٦٤ ، (مصر).

لوحة (٢٠)

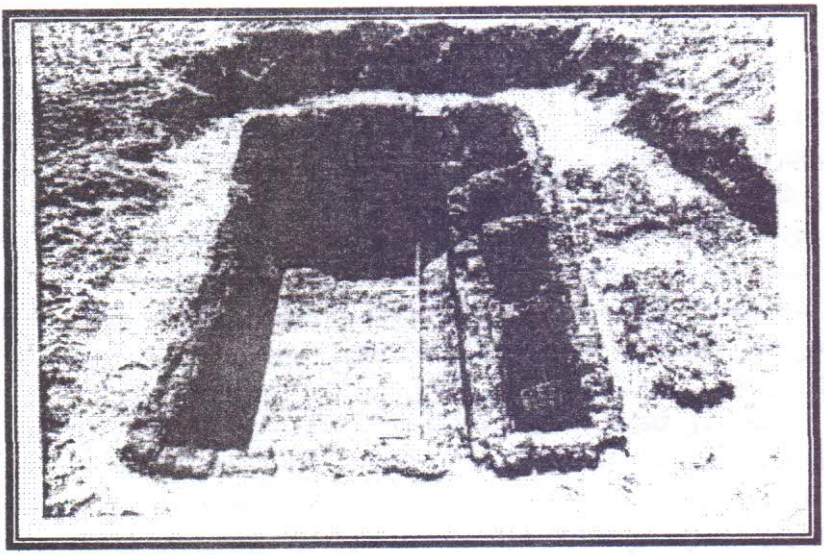

شكل (أ) المقبرة -i- بالجبانة U منطقة أم الجعاب /أبيدوس ، نقادة الثالثة (مصر).

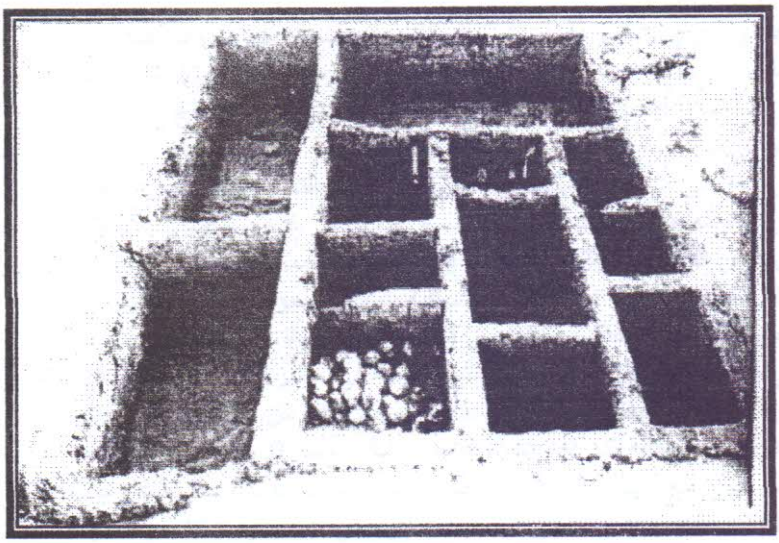

شكل(ب) المقبرة -j- بالجبانة U منطقة أم الجعاب /أبيدوس ، ونلاحظ كبر المقبرة وتقسيمها ومخازنها ، ١٠×٨ متر تقريبا ، العمق ١،٥٥ متر، مما يعتقد إنها كانت مخصصة لأحد زعماء هذه الفترة ، نقادة الثالثة (مصر).